

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَيْنَ مَكْرَهِ الْإِخْرَجَةِ وَكِيدِ النِّسْوَةِ

دراسة يحييك فيها الإمام الفخر الرازي عن ٥٠ سؤالاً
من خلال تفسيره : مفاصيح الغيب

حققه وقدم له وعلق عليه

محمد على أبو العباس

خطيب مسجد نادي المرسانة

مكتبة الساعي

الرياض - شارع ٤٢١٥٦٣٦ - ٤٢١١٤٣٤
م.س. ٥٧٤٩ - الرياض ١١٥٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

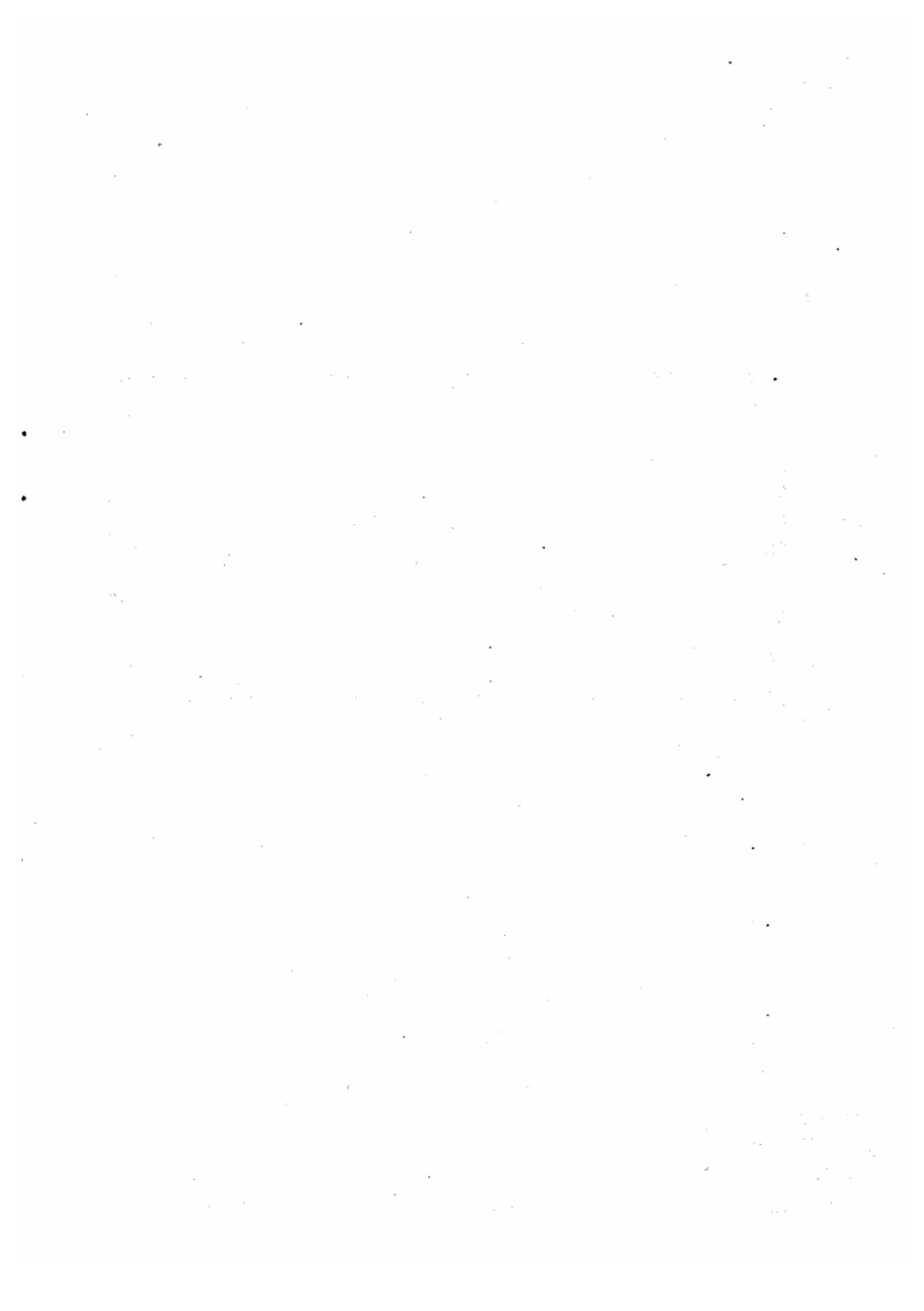
جميع الحقوق في المملكة العربية السعودية
محفوظة لمكتبة الساعي — الرياض
بتصریح من مکتبة القرآن — القاهرة

« الإهداء »

« إلى من أسسوا طفولتى وصبائى وشبابى ورجولتى على الطهر والعفاف
إلى آبائى فى عالم الأرواح والخلود إلى إخوات وأخوات وأبنائى وبنات
في دنيا الأحياء أهدى هذا الكتاب عظة وذكرى لأولى الألباب »

الراجى عفو ربہ : -

محمد على أبو العباس



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله الذي هدانا هذا وماكنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله
والصلاوة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
ومن والاه .

وبعد

فإن في قصص القرآن واقعية لا خيال فيها ، وإن فيها صدقا
لا كذب ، ولا التواء ، ولا مماراة ولا جدال ، وفوق كل ذاك فإن
الهدف وضاح الكتاب من تثبيت لقلب الرسول - ﷺ - ﴿وَكُلُّا
نَقْصٍ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرَّسُولِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ
وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) . وفيها العبرة والذكرى ﴿لَقَدْ كَانَ
فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ
الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلٌ كُلُّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ﴾^(٢)

وفي القصص دليل على صدق الرسول ﷺ في تبليغ القرآن لأنه
ما عاش مع هؤلاء الأقوام وما رأى ما كان في الزمان والمكان، وصدق
القرآن ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوَجِّهُ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا
أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَكْرُونَ﴾^(٣)

وفي قصة يوسف عليه السلام عبرة وعظة ، تتصل بصميم حياة
الإنسان في كل زمان ومكان ، طالما كانت الذكرة والأثر ، وطالما

(١) ١٢٠ سورة هود

(٢) ١١١ سورة يوسف

(٣) ١٠٢ سورة يوسف

كان الصراع بين الخير والشر ، وطالما كان الشيطان ينزغ^(١) بين بني الإنسان ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وفي قصة يوسف وحوها تدور أسئلة شتى تناولها بالإجابة العلامة في ندواتهم، فلمسووا كثيراً من الجوانب وأظهروا كثيراً من المعان، لكن إمامنا الفخر الرازي جمع فأوعى، وقد عشت معه استخلاص تلك الدرر في أجوبته على التساؤلات التي عرضها، والمسائل التي فسر بها الآيات وحاولت الإيجاز ليخرج الكتاب مناسباً لقارئه اليوم، الذي جذبته المreibيات وشغلته الماديات ، فابتعد عن الروحانيات ، وقد قدمت لكل فكرة بما يناسبها ولكل آية بما يدور حولها ، قبل استعراض التساؤلات وعرض المسائل وحاولت الجدة في الاستنباط والأسلوب، من غير حشو تفسيري أو رأي لايناسب عصمة الأنبياء فإن أكن وفقت فللله الحمد والشك ، وإن تكون الأخرى فلا يكلف الله نفسها إلا وسعها ، وحسبى خلوص نبقي ، وعون خالقى ، إنه نعم المولى ونعم المعين ،

الفقير إلى ربه

محمد على أبو العباس

بني مجدول - إمبابة - جيزة

القاهرة

ذو القعدة سنة ١٤٠٧ يوليو سنة ١٩٨٧

(١) نزع الشيطان : أفسد وأغرى

دراسة التحقيق

- ١ - التعريف بالمؤلف .
- ٢ - التعريف بتفسيره وطريقته فيه .
- ٣ - اهتمامه بالمناسبات بين سور القرآن واياته .
- ٤ - اهتمام الرازى بالعلوم الرياضية والفلسفية .
- ٥ - الرازى والمعزلة .
- ٦ - مميزات (مفاتيح الغيب) .
- ٧ - خطئ فى هذا الكتاب .

التعريف بالمؤلف :

هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الطبرستاني ، الرازى لقبه فخر الدين المعروف بابن الخطيب الشافعى المولود سنه ٤٤٥ هـ أربع وأربعين وخمسة كان رحمة الله فريد عصره ، ومتكلم زمانه ، جمع كثيرا من العلوم ونبغ فيها ، فهو إمام في التفسير وعلم الكلام^(١) وفي العلوم العقلية وعلوم اللغة ، ولقد أكسبه نبوغه العلمى شهرة عظيمة فكان العلماء يقصدونه من البلاد ، ويشدون إليه رحال العلم من شتى الأقطار ، وقد أخذ العلم عن والده ضياء الدين المعروف بخطيب الرئيسي ، وعن الكمال السمعانى وكثير من العلماء الذين عاصرهم ولقيهم ، وله فوق تلك الشهرة العلمية شهرة كبيرة في الوعظ ، حتى قيل : إنه كان يعظ باللسان العرب ، واللسان العجمى ، وكان يلحقه البكاء في حال وعظه .

ولقد ترك لنا رحمة الله - مجموعة من تصانيفه في الفنون المختلفة ، وقد انتشرت هذه التصانيف في البلاد ورزق فيها الحظوة الواسعة ، والسعادة العظيمة ، إذ أن الناس اشتغلوا بها ، وأعرضوا عن كتب المقدمين ومن أهم هذه الكتب : " مفاتيح الغيب " وهو ما نحن بصدده الآن ، وله تفسير " سورة الفاتحة " في مجلد واحد ولعله هو الموجود بأول تفسيره . " مفاتيح الغيب " - وله في علم الكلام كتاب (المطالب العالية) ، كتاب البيان والبرهان في الرد على أهل الزيف والطغيان ، وله في أصول الفقه " المحسول " وفي الحكمة : " الملخص " وشرح الإشارات لابن سينا وشرح عيون الحكمة ، ويقال إنه شرح المفصل في النحو للزمخشري ، وشرح الوجيز في الفقه للغزالى وغير هذا كثير مما يظهر فيه علم الرجل الواسع الغزير توفى

(١) المقصود بعلم الكلام : علم التوحيد .

رحمه الله سنه ٦٠٦ هـ ستمائة وست من الهجرة بالرى ويقال في سبب الوفاة : إنه كان بينه وبين الكرامية خلاف كبير وجدل في أمور العقيدة ، فكان ينال منهم وينالون منه سباً وتكفيراً وأخيراً سموه فمات على إثر ذلك واستراحتوا منه .^(١)

التعريف بتفسيره وطريقته فيه : -

يقع هذا الكتاب في ثمان مجلدات كبار ، وهو مطبوع ومتداول في ساحات العلم ، ويقول ابن قاضى شهبه إنه رأى الفخر الرازى لم يتممه كما يقول ابن خلkan فى وفيات الأعيان إذن فمن الذى أكمل هذا التفسير ؟ وإلى أى موضع من القرآن وصل الفخر الرازى فى تفسيره ؟ إن الأقوال متضاربة فابن حجر العسقلانى فى كتابه الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة " يقول : الذى أكمل تفسير - مفاتيح الغيب .. هو أحمد بن محمد بن أبي الحزم مكى نجم الدين المخزومى مات سنه ٧٢٧ هـ وهو مصرى وصاحب كشف الظنون يقول : وصنف الشيخ نجم الدين أحمد بن محمد القمولى تكملاً له وتوفى سنه ٧٢٧ هـ وقاضى القضاة شهاب الدين بن خليل الدمشقى أكمل ما نقص وتوفى سنه ٦٣٩ هـ وهؤلاء يتفقون على أنه لم يتم التفسير ولكن يختلفون فيما أتاه وأما إلى أى موضع وصل فإننا نجد الاختلاف أيضاً ففى كشف الظنون ما نصه " الذى رأيته بخط السيد مرتضى نقلاً عن شرح الشفا للشهاب أنه وصل إلى سورة الأنبياء :

وفي القراءة لهذا الكتاب وجد في سورة الواقعة عند الآية (٢٤) هذه العبارة " المسألة الأولى أصولية ذكرها الإمام فخر الدين رحمه الله في موضع كثيرة ونحن نذكر بعضها " وهذه العبارة تدل على أن الرازى لم يصل إلى سورة الواقعة لكن في الآية (٦) من سورة المائدة

(١) انظر وفيات الأعيان ج ٢ من ٢٦٥ - ٢٦٨ وشذرات الذهب ج ٥ ص ٢١ .

تعرض لموضوع النية في الوضوء واستشهد لذلك بالأية "٥" من سورة البينة ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ وبين أن الإخلاص عبارة عن النية وهذه العبارة التي قالها تشعر بأنه فسر سورة البينة بحسب ظاهر العبارة وهي (وقد حققنا الكلام في هذا الدليل في تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين﴾ فليرجع إليه في طلب زيادة الإنفاق .

والذى نستطيع قوله كحل لهذا الاضطراب^(١) هو أن الرازى فسر إلى سورة الأنبياء فأقى بعده شهاب الدين الخوى فشرع في تكميلة هذا التفسير ولكنه لم يتم ، فأقى بعده نجم الدين القميلى فأكمل ما بقى منه ، كما يجوز أن يكون شهاب الدين أكمله إلى النهاية والقمىلى كتب تكميلة أخرى غير التى كتبها الخوى وهذا هو الظاهر من عبارة كشف الظنون .

وأما إحالة الفخر على ما كتبه فى سورة البينة فهذا ليس بتصريح فى أنه وصل إليها فى تفسيره إذ لعله كتب تفسيراً مستقلاً لسورة البينة أو هذه الآية وحدها فهو يشير إلى ما كتب فيها ويحيل عليه .

ويقول المرحوم الدكتور محمد الذهبى : أعتقد أنه ليس حلاً حاسماً لهذا الاضطراب وإنما هو توفيق يقوم على الظن ، والظن يخطئ ويصيب .

ثم إن القارىء فى هذا التفسير لا يكاد يلحظ فيه تفاوتاً فى المنهج والمسلك ، بل يجرى الكتاب من أوله إلى آخره على نمط واحد ، وطريقة واحدة ، تجعل الناظر فيه لا يستطيع أن يميز بين الأصل والتكميلة ، ولا يتمكن من الوقوف على حقيقة المقدار الذى كتبه الفخر الرازى والمقدار الذى كتبه صاحب التكميلة .

(١) التفسير والمفسرون ص ٢٧٨ الجزء الأول .

هذا وإن هذا التفسير ليحظى بشهرة واسعة بين العلماء . وذلك لأنه يمتاز عن غيره من كتب التفسير بالأبحاث الفياضة الواسعة في نواح شتى من العلم ولهذا يصفه ابن خلkan فيقول " إنه جمع فيه كل غريب وغريبة " ولست مع ابن عطية الذي يقول : فيه كل شيء إلا التفسير . فإنه رحمه الله مع الاستطراد إلى ذكر الأدلة والبراهين قد وفَّ الموضوع حقه .

اهتمامه بالمناسبات بين سور القرآن وآياته : -

يمتاز مفاتيح الغيب بذكر المناسبات بين الآيات بعضها مع بعض ، وبين السور كذلك ، وكثيراً ما يذكر أكثر من مناسبة ولا يكتفى بذكر مناسبة واحدة .

اهتمام الرازى بالعلوم الرياضية والفلسفية : -

يكثُر من الاستطراد إلى العلوم الرياضية والطبيعية ، وغيرها من العلوم التي حدثت في عهده كالفلك وغيره ، كما أنه يعرض لكثير من أقوال فلاسفة ويرد عليهم ويُفنِّد آراءهم ، ويقدم ذلك في استدلال عقلٍ بما يتفق ومذهب أهل السنة .
الرازى والمعتزلة : -

لا يدع فرصة تمر دون أن يعرض لمذهب المعتزلة بذكر أقوالهم والرد عليها باعتباره من أهل السنة وإن كان البعض يرى رده غير كاف ولا شاف فالحافظ بن حجر يقول عنه في لسان الميزان ، " وكان يعاب بإيراد الشبهة الشديدة ويقصر في حلها حتى قال بعض المغاربة " يورد ، الشبه نقداً ويحملها نسيئة " ^(١) . إلا أنها نرى أن هناك دفاعاً عن عقيدة أهل السنة .

(١) النسيئة : التأثير أى يتاخر في رده على شبه المعتزلة .

مميزات - مفاتيح الغيب - :

يمتاز تفسير الفخر الرازى بـ مميزات منها : -

- ١ - وقوفه أمام بعض المرويات التي لا تتفق وعصمة الأنبياء .
- ٢ - يكاد يخلو من الإسرائيليات وإن كنا لا نوافقه في ذكر أن الذبائح إسحاق .
- ٣ - يمتاز بذكر المسائل والوجوه المختلفة في تفسير الآيات .
- ٤ - يعرض لأسئلة ويرد عليها بأراء المفسرين كابن عباس ومجاهد وقتاده والسدى وابن جبير .
- ٥ - يعتمد على كبار علماء اللغة كالاصمعي وأبي عبيدة .
- ٦ - يقول المستشرق "جولد تسهر" ينبغي عده خاتمة أدب التفسير الشمر الأصيل .
- ٧ - يعرض لمذاهب الفقهاء في آيات الأحكام ، مع ترويجه لمذهب الشافعى الذى يقلده بالأدلة والبراهين وبالجملة فالكتاب أشبه ما يكون بموسوعة في علم الكلام وفي علوم الكون والطبيعة وأقوال الحكماء وال فلاسفة .

خطئ في هذا الكتاب : -

- ١ - قمت بعرض كيد إخوة يوسف له وما ترتب مع ذلك من إلقاءه في الجب وببيعه ودخوله بيت العزيز .
- ٢ - الاتهام من زوجة العزيز وما ترتب عليه من سجنه إلى أن مَّ عليه الرحمن .
- ٣ - البراءة الواضحة التي بها خرج يوسف وأصبح على خزانة الأرض .
- ٤ - العفو والإحسان والتئام الأسرة بعد ما كان وفي كل ذاك قدمت

للآيات وأتبعت ذلك بعرض الأسئلة التي ذكرها الإمام الرازى ورد عليها ، ثم ذكرت مسائل متفرقة في تفسير الآيات .

٥ - حاولت عرض آراء المفسرين في الموضوعات الحساسة مثل -
الهم - والنفس الأمارة .

٦ - وضعت العناوين والعناصر التي جمعت الموضوع في هذا العمل المتواضع البسيط .وها أنت ذا أيها الأخ الكريم تعيش مع الكتاب هدانا الله وإياك إلى الصواب وألهمنا الحكمة وفصل الخطاب ، وصلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَلِيهِ وَسَلَّمَ .

الفقير إلى الله

محمد على أبو العباس



«الفصل الأول»
«كيد الأقرباء»

- ١ - كرم الأصل
- ٢ - رؤيا حق
- ٣ - مؤامرة وتنفيذ
- ٤ - سؤالات وأجوبة
- ٥ - مسائل في تفسير الآيات

كرم الأصل : -

هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم وعلى نبينا أفضل صلاة وأتم تسلیم ، ويعقوب هو إسرائيل - وقد أتم الله نعمته عليهم فكانوا رسلاً مبشرین ومتذرين ﴿ ذرِّيَّهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَالله سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(۱) .

كان يوسف جميل الصورة ، آثره يعقوب وخصه بقسط عظيم من محبته ، وذلك هو السبب في حقد إخوته ، وكان سبباً في محنته التي كانت خيراً ، ونعمة ، عليه وعلى مصر والمصريين ، وصدق ابن عطاء الله السكندرى حين قال : - « ربما كمنت المحن في المحن » ذكر اسمه في أربع وعشرين آية من سورة - يوسف وفي آية من سورة الأنعام وفي آية من غافر - أى في ست وعشرين موضعاً من القرآن الكريم يقول الفخر الرازى : -

« قال صاحب الكشاف : - الصحيح أنه اسم عبارة لأنه لو كان عربياً لانصرف^(۲) خلوه عن سبب آخر سوى التعريف : وقرأ بعضهم (يوسف) بكسر السين ، و (يوف) بفتحها ، وأيضاً روى في (يونس) هذه اللغات الثلاث ، وعن النبي ﷺ قال :

« إذا قيل من الكريم فقولوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام »^(۳)
رؤيا حق : -

رؤيا الأنبياء حق ، فليست أضغاث أحلام ، لأنه لا يدخلها شيطان ، وهابو يوسف عليه السلام ، يرى في النام أن أحد عشر

(۱) الآية ۳۴ آل عمران

(۲) الصرف في اللغة التثنين أي أن اسم يوسف منوع من التثنين والتثنين : نون ساكنة تتبع آخر الاسم في اللفظ لا الخط .

(۳) رواه البخارى في كتاب التفسير : تفسير سورة يوسف ۱۴۲ / ۳ . وفى كتاب بدء الخلق باب أم كتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ۲ / ۲۴۱ . وباب قوله تعالى . لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين ۲ / ۲۴۳ . والترمذى في كتاب التفسير . سورة يوسف ۱۱ / ۲۸۱ .

كوكباً ، والشمس والقمر ، سجدوا له ، فقصصها على أبيه في غيبة إخوته يقول تعالى : «إذ قال يوسف لأبيه يا أبا إتي رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتمهم لي ساجدين . قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين . وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمتة عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبوائك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك علیم حكيم»^(١)

يقول الفخر الرازي : - في الآية سؤالات السؤال الأول قوله «رأيتمهم لي ساجدين» قوله «ساجدين» لا يليق إلا بالعقلاء ، والكواكب جادات ، فكيف جازت اللفظة المخصوصة بالعقلاء في حق الجmadات ؟ إنه تعالى لما وصفها بالسجود صارت كأنها تعقل ، فأخبر عنها كما يخبر عما يعقل كما قال في صفة الأصنام «وتراهم ينظرون إليك وهم لا يتصرون»^(٢) وكما في قوله «يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم»^(٣) -

السؤال الثاني : - قال «إن رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر»^(٤) ثم أعاد لفظ الرؤيا مرة ثانية ، وقال «رأيتمهم لي ساجدين» فما الفائدة في هذا التكرير ؟ الجواب : - قال القفال رحمه الله : ذكر الله الرؤيا الأولى لتدل على أنه شاهد الكواكب ، والشمس والقمر والثانية لتدل على مشاهدة كونها ساجدة له ، وقال بعضهم : إنه لما قال «إن رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر» فكانه قيل له : كيف رأيت ؟ فقال «رأيتمهم لي ساجدين»

(١) ٤ - ٦ سورة يوسف

(٢) ١٩٨ الآية ١٨ سورة التمل

(٣) ٤ سورة يوسف

السؤال الثالث : - لم أخر الشمس والقمر ؟

قلنا : أخرهما لفضلهما على الكواكب لأن التخصيص بالذكر يدل على مزيد الشرف كما في قوله : « وَمَلَائِكَتِهِ وَرَسُولُهُ وَجِنْرِيلَ وَمِيكَالَ »^(١)

السؤال الرابع : - هل المراد بالسجود نفس السجود أو التواضع ؟
قلنا : كلاما محتملا ، والأصل في الكلام حمله على حقيقته ولامانع أن يرى في المنام أن الشمس والقمر والكواكب سجدت له .

السؤال الخامس : - متى رأى يوسف عليه السلام هذه الرؤيا ؟
قلنا : لاشك أنه رأها حال الصغر قال وهب : رأى يوسف عليه السلام وهو ابن سبع سنين أن إحدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الأرض كهيئه الدائرة ، وإذا عصا صغيرة ثبتت عليها حتى ابتلعتها فذكر ذلك لأبيه فقال : إياك أن تذكر هذا لإخوتك ، ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على أبيه فقال : لا تذكرة لهم فيكيدوا لك كيدا وقيل : كان بين رؤيا يوسف ومصير إخوته إليه أربعون سنة وقيل : ثمانون سنة .

السؤال السادس : قال بعضهم : المراد من الشمس والقمر أبوه وحالته فيها السبب فيه ؟

قلنا : إنما قالوا ذلك من حيث ورد في الخبر أن والدته توفيت وما دخلت عليه حال ما كان بمصر . قالوا ولو كان المراد من الشمس والقمر آباء وأمه لما ماتت لأن رؤيا الأنبياء عليهم السلام لابد وأن تكون وحيا وهذه الحجة غير قوية لأن يوسف عليه السلام ما كان في ذلك الوقت من الأنبياء .

(١) الآية ٩٨ البقرة

السؤال السابع : وما تلك الكواكب ؟

قلنا روى صاحب الكشاف أن يهوديا جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد أخبرني عن النجوم التي رأها يوسف فسكت رسول الله ﷺ فنزل چبريل عليه السلام وأخبره بذلك فقال عليه الصلاة والسلام لليهودي « إن أخبرتك هل تسلم » قال نعم قال « حرثان والطارق ، والذيال ، وقبس وعمودان والفلق والمصبع والضروح والفرع ووثاب وذو الكتفين » رأها يوسف والشمس والقمر نزلت من السماء وسجدت له ، فقال اليهودي : أى والله إنها لأسماؤها .^(١)

السؤال الثامن : مال المراد بالاجتباء وتأويل الأحاديث ؟ اختلفوا في المراد به فقال الحسن : يجتبيك ربك بالنبوة ، وقال آخرون : المراد منه إعلاء الدرجة وتعظيم المرتبة فأما تعين النبوة فلا دلالة في اللفظ عليه .

وأما تأويل الأحاديث ففيه وجوه :

الأول : المراد منه تعبير الرؤيا سماه تأويلا لأنه يؤول أمره إلى ما رأه في المنام : يعني تأويل أحاديث الناس فيما يرونه في منامهم . قالوا : إنه عليه السلام كان في علم التعبير غاية .

الثاني : تأويل الأحاديث في كتب الله تعالى ، والأخبار المروية عن الأنبياء المتقدمين .

الثالث : الأحاديث جمع حديث . والحديث هو الحادث وتأويلها مأها ، ومآل الحوادث إلى قدرة الله تعالى وتكوينه وحكمته والمراد من تأويل الأحاديث كيفية الاستدلال بأصناف المخلوقات الروحانية والجسمانية على قدرة الله تعالى وحكمته وجلالته .

(١) رواه الحاكم بنحوه في مستدركه مع الاختلاف في أسماء النجوم وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ٤ / ٣٩٦ . والبيهقي بنحوه في الدلائل مع نفس الاختلاف ٦ / ٢٧٧

**السؤال التاسع : ما المراد بإتمام النعمة ؟ يقول الفخر الرازى في ذلك
أقوال :**

القول الأول : -

اعلم أن من فسر الاجتباء^(١) بالنبوة لا يمكنه أن يفسر إتمام النعمة
ها هنا بالنبوة أيضا وإلا لزم التكرار ، بل يفسر إتمام النعمة هنا
سعادات الدنيا وسعادات الآخرة ، أما سعادات الدنيا فالإكثار من
الأولاد والخدم والأتباع والتوسيع في المال واجاه والحسين وإجلاله في
قلوب الخلق وحسن الثناء والحمد ، وأما سعادات الآخرة فالعلوم
الكثيرة والأخلاق الفاضلة والاستغراق في معرفة الله تعالى .
وأما من فسر الاجتباء بنيل الدرجات العالية فيها هنا يفسر إتمام
النعمة بالنبوة ويتأكد هذا بأمور : -

الأول : إن إتمام النعمة عبارة عنها به تصير النعمة تامة ، كاملة خالية
عن جهات النقصان ، وماذاك في حق البشر إلا بالنبوة ، فإن جميع
مناصب الخلق دون منصب الرسالة ناقص بالنسبة إلى كمال النبوة
فالكمال المطلق والتمام المطلق في حق البشر ليس إلا النبوة .

الثانى : قوله ﴿كَمَا أَتَاهَا عَلَى أَبْوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ
وإِسْحَاقَ﴾^(٢) ومعلوم أن النعمة التامة التي بها حصل امتياز إبراهيم
وإسحاق عن سائر البشر ليس إلا النبوة فوجب أن يكون المراد بإتمام
النعمة هو النبوة .

القول الثانى : - أن المراد من قوله ﴿وَيُتَمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ خلاصه
من المحن ويكون وجہ التشبيه في ذلك بإبراهيم وإسحق عليهما

(١) اجتباء : اصطفاء واختاره .

(٢) الآية ٦ - يوسف

السلام هو إنعام الله تعالى على إبراهيم بإنجائه من النار ، وعلى ابنه إسحاق بخلصه من الذبح^(١) .

القول الثالث : - أن إتمام النعمة هو وصل نعمة الله عليه في الدنيا بنعمة الآخرة بأن جعلهم في الدنيا أنبياء وملوكاً ونقلهم عنها إلى الدرجات العلوى في الجنة واعلم أن القول الأول هو الصحيح لأن النعمة التامة في حق البشر ليست إلا النبوة ، وكل ماسواها فهي ناقصة بالنسبة إليها ، ثم إنه عليه السلام لما وعده بهذه الدرجات الثلاثة ، ختم الكلام بقوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلَيْمٌ حَكِيمٌ﴾ - فقوله (عليم) إشارة إلى قوله ﴿الله أَعْلَمُ حِينَ يَجْعَلُ رسَالَتَهُ﴾^(٢) وقوله (حكيم) إشارة إلى أن الله تعالى مقدس عن السُّفه والعبث لا يضع النبوة إلا في نفس قدسيّة ، وجوهرة مشرقة علوية » .

مؤامرة وتنفيذ :

رأى إخوة يوسف من إيثار أبيهم له وحديبه عليه ، مالم يكن لواحد منهم ، فاغتاظوا وهم في سن الشباب وطيش الحداثة ، فأضمرموا له الشر فقالوا لأبيهم ﴿مَالِكَ لَا تَأْمَنَ أَعْلَى يُوسُفَ وَإِنَا لَهُ لَنَا صَحْوَنَ أَرْسَلْهُ مَعَنَا غَدَّا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٣)

(١) تلك دعوى اليهود وذلك حرصاً منهم على أن يكون أبوهم هو الذبيح الذي جاد بنفسه وال الصحيح أن الذبيح اسماعيل والدليل من التوراة نفسها حيث وصف الذبيح بأنه ابن ابراهيم الوحيدي اي الذي ليس له سواه وإذا رجعنا إلى إسحاق لم نجده وحيداً لإبراهيم في يوم من الأيام لأن إسحاق ولد والإسماعيل أربع عشرة سنة كما هو صريح التوراة وبقي اسماعيل إلى أن مات ابراهيم وحضر وفاته ودفنه وأيضاً فإن ذبح اسحاق ينافي الوعد الذي وعد الله به إبراهيم أن إسحاق سيكون له نسل وأيضاً فَيَنَّ الذَّبِيعَ حدث بمكة وإسماعيل هو الذي ذهب به أبوه إليها رضيوا وثبت ذلك في حديث البخارى عن ابن عباس ، وذكر الآية بعد قصة الذبيح في سورة الصافات ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾ فالابيان بالبشرى بـإسحاق بعد ذكر القصة صريح في أن إسحاق غير الغلام الذي ابْتُلَ اللَّهُ ابْرَاهِيمَ بِذِبْحِهِ وَالْمُفْسِرُونَ الَّذِينَ نَقَلُوا إِنَّ الذَّبِيعَ ساروا وراء تلك الإسرائيليات وقد ظهر من كتبهم نقض دعواهم .

(٢) الآية ١٢٤ سورة الانعام

وبإحساس قلب الأب تخوف وقال لهم - ﴿إِنَّ لَيَحْرُنْنِي أَنْ تَذَهَّبُوا بِهِ
وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾^(١) وكان جوابهم لا
يبقى له علة يتثبت بها ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذَّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَا إِذَا
خَاسِرُونَ﴾^(٢) فلما تسلموه وقد انتهوا إلى إلقائه في الجب بعد أن
يعروه من قميصه ولا يسفكونا دمه ، وأن يخبروا أباهم بأن مفترسا
افتسره ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجَبِ﴾^(٣)

والمرتب يشعر من نفسه بالتهمه (كاد المريب يقول خذون) ولذا
قالوا لأبيهم - ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْكُنَا صَادِقِينَ ، وَجَاءُوا عَلَى
قَمِيصِهِ بِدَمِ كَذِبٍ﴾^(٤) وهنا ظهرت مهارة يعقوب في كشف كذبهم
وما أمهره من قاض يقول لهم متهمكم «ما أحلم هذا الذئب الذي
افتسر ولدي ولم يزق عليه قميصه ، ولم يعمل في قميصه نايا ولا
ظفرا » ﴿بَلْ سَوْلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَرْ جَمِيلٌ . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ
عَلَى مَا تَصْفُونَ﴾^(٥)

إن الذئب بريء من دم ابن يعقوب فذلك ظلم وافتراء من أقرب
الأقرباء

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة
على النفس من وقع الحسام^(٦) المهنـد

وستكشف الأيام عن الحقيقة في وضوح وجلاء

مع الفخر الرازى : يطرح الإمام الرازى تساؤلات ويضع الجواب
الشاق لكل سؤال منها فيقول :

السؤال العاشر : إن من الأمور المعلومة أن تفضيل بعض الأولاد على
بعض يورث الحقد والحسد ، ويورث الآفات ، فلما كان يعقوب

(١) يوسف ١٣

(٢) يوسف ١٤

(٣) يوسف ١٥

(٤) يوسف ١٧ ، ١٨

(٥) يوسف ١٨

(٦) السيف المصنوع في بلاد الهند

عليه السلام عالما بذلك فلم أقدم على هذا التفضيل وأيضاً الأسن^(١) والأعلم والأنفع أفضل فلم قلب هذه القضية؟ والجواب: أنه عليه السلام ما فضلها على سائر الأولاد إلا في المحبة، والمحبة ليست في وسع البشر فكان معدوراً فيه ولا يلحقه بسبب ذلك لوم.

السؤال الحادى عشر: أن أولاد يعقوب إن كانوا قد آمنوا بكونه رسولاً حقاً من عند الله تعالى، فكيف اعترضوا عليه، وكيف زيفوا طريقته، وطعنوا في فعله؟ وإن كانوا مكذبين لنبوته، فهذا يوجب كفراً بهم.

الجواب: أنهم كانوا مؤمنين بنبوة أبيهم مقررين بكونه رسولاً حقاً من عند الله تعالى إلا أنهم لعلهم جوزوا من الأنبياء أن يفعلوا أفعالاً مخصوصة بمجرد الاجتهداد، ثم إن اجتهدادهم أدى إلى تخطئة أبيهم في ذلك الاجتهداد وذلك لأنهم كانوا يقولون: هما صبيان ما بلغا العقل، ونحن متقدمون عليهما في السن والعقل والكافية والمنفعة وكثرة الخدمة، والقيام بالمهامات وإصراره على تقديم يوسف علينا يخالف هذا الدليل، وأما يعقوب فلعله كان يقول: زيادة المحبة ليست في الوسع والطاقة فليس لله على فيه تكليف. وأما تخصيصهما بمزيد البر فيحتمل أنه كان لوجهه: أحدهما أن أمها ماتت وهو صغار، وثانيها لأنه كان يرى فيه من آثار الرشد والنجابة مالم يوجد في سائر الأولاد وثالثها لعله وإن كان صغيراً إلا أنه كان يخدم آباء بأنواع من الخدم أشرف وأعلى مما كان يصدر عن سائر الأولاد.

السؤال الثانى عشر: أنهم نسبوا آباهم إلى الضلال المبين، وذلك مبالغة في الذم والطعن ومن بالغ في الطعن في الرسول كفر لاسيما إن كان الطاعن ولداً فإن حق الأبوة يوجب مزيد التعظيم والجواب: المراد منه الضلال عن رعاية المصالح في الدنيا لا البعد عن طريق الرشد والصواب.

(١) الأسن: الأكبر في السن

السؤال الثالث عشر : ظهر كذب إخوة يوسف وخيانتهم فلم صبر يعقوب على ذلك؟ ولم لم يبالغ في التفتيش والبحث سعيا منه في تخلص يوسف عن البلية والشدة إن كان في الأحياء ، وفي إقامة القصاص إن صح أنهم قتلوا ، فثبتت أن الصبر في المقام مذموم . والجواب عنه : أن نقول لا جواب عنه إلا أن يقال إنه سبحانه وتعالى منعه عن الطلب تشديداً للمحنة عليه ، وتغليظاً للأمر عليه ، وأيضاً لعله عرف بقرائن الأحوال أن أولاده أقوباء . وأنهم لا يمكنونه من الطلب والتفحص وأنه لو بالغ في البحث فربما أقدموا على إيذائه وقتلته ، وأيضاً لعله عليه السلام علم أن الله تعالى يصون يوسف عن البلاء والمحنة ، وأن أمره سيعظم بالأخرة ثم لم يرد هتك أستار سرائر أولاده ومارضى بإلقاءهم في ألسنة الناس ، وذلك لأن أحد الولدين إذا ظلم الآخر وقع الأب في العذاب الشديد لأنه إن لم ينتقم يحترق قلبه على الولد المظلوم ، وإن انتقم فإنه يحترق قلبه على الولد الذي ينتقم منه ، فلما وقع يعقوب عليه السلام في هذه البلية رأى أن الأصوب الصبر والسكوت وتفويض الأمر إلى الله تعالى بالكلية » .

مسائل في تفسير الآيات : -

يتناول بنا الفخر الرازى من سؤالاته إلى مسائله التي يطرحها حول الآيات فيقول : -

المسألة الأولى : - « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ »^(١) روى أن علماء اليهود قالوا لكراء المشركين ، سلوا محمداً لم أنقل آل يعقوب من الشام إلى مصر ، وعن كيفية قصة يوسف فأنزل الله تعالى هذه الآية وذكر فيها أنه تعالى عبر عن هذه القصة بالفاظ عربية

١ - الآية ٢ - يوسف

ليتمكنوا من فهمها ويقدروا على تحصيل المعرفة بها والتقدير : إننا أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرآنًا عربيا . وسمى بعض القرآن قرآنًا لأن القرآن اسم جنس يقع على الكل والبعض .

المسألة الثانية : - احتاج الجبائى بهذه الآية على كون القرآن مخلوقا من ثلاثة أوجه .

الاول : أن قوله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ يدل عليه ، فإن القديم لا يجوز تنزيله وإنزاله وتحويله من حال إلى حال .

الثانى : - أنه تعالى وصفه بكونه عربيا والقديم لا يكون عربيا ولا فارسيا .

الثالث : - أنه لما قال ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ دل على أنه تعالى كان قادرًا على أن ينزله لا عربيا وذلك يدل على حدوثه

الرابع : - أن قوله ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ يدل على أنه مركب من الآيات والكلمات وكل ما كان مركبا كان محدثا^(١) .

الجواب : - يقول الفخر الرازى يرد على هذه الوجوه : إنها تدل على أن المركب من الحروف والكلمات والألفاظ والعبارات محدث وذلك لا نزاع فيه ، إنما الذى ندعى قدمه شيء آخر فسقط هذا الاستدلال .

المسألة الثالثة : - ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّسَائِلِينَ﴾^(٢) ذكر صاحب الكشاف أسماء إخوة يوسف : - يهودا ، روبيل ، شمعون ، لاوى ، ربالون ، يشجر ، دنية ، دان ، نفتالي ، جاد ، آشر ثم قال : السبعة الأولون من «ليا» بنت خالة يعقوب والأربعة الآخرون من سريتين «زلفة وبليه» فلما توفيت ليا تزوج أختها «احيل» فولدت بنiamين ويوسف .

المسألة الرابعة : - ذكرها في تفسير قوله تعالى ﴿آيَاتٌ لِّسَائِلِينَ﴾

(١) ذكرها ثلاثة في البداية ولكنه أتى باربعة أوجه

(٢) الآية ٧ يوسف

وجوها : -

الأول : - قال ابن عباس دخل حبر^(١) من اليهود على النبي ﷺ فسمع منه قراءة يوسف فعاد إلى اليهود فأعلمهم أنه سمعها منه كما هي في التوراة ، فانطلق نفر منهم فسمعوا كما سمع فقالوا له من علمك هذه القصة ؟ فقال :

الله علمني فنزل ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلْسَّائِلِينَ﴾^(٢) وهذا الوجه عندي بعيد لأن المفهوم من الآية أن في واقعة يوسف آيات للسائلين وعلى هذا الوجه الذي نقلناه ما كانت الآيات في قصة يوسف بل كانت الآيات في إخبار محمد ﷺ عنها من غير سبق تعلم ولا مطالعة وبين الكلامين فرق ظاهر .

الثاني : - أن أهل مكة أكثرهم كانوا أقارب الرسول وكانوا ينكرون نبوته ، ويظهرون العداوة الشديدة معه بسبب الحسد فذكر الله تعالى هذه القصة وبين أن إخوة يوسف بالغوا في إيذائه لأجل الحسد ، وبالآخرة فإن الله تعالى نصره وقواه وجعلهم تحت يده ورايته ومثل هذه الواقعة إذا سمعها العاقل كانت زجرا له عن الإقدام على الحسد .

الثالث : أن يعقوب لما عبر رؤيا يوسف وقع ذلك التعبير ودخل في الوجود بعد ثمانين سنة فكذلك أن الله تعالى لما وعد محمداً عليه الصلاة والسلام بالنصر والظفر على الأعداء فإذا تأخر ذلك الموعد مدة من الزمان لم يدل ذلك على كون محمد عليه الصلاة والسلام كاذبا فيه فذكر هذه القصة نافع من هذا الوجه .

الرابع : أن إخوة يوسف بالغوا في إبطال أمره ولكن الله تعالى لما وعده بالنصر والظفر كان الأمر كما قدره الله تعالى لا كما سعى فيه الأعداء ، فكذلك واقعة محمد ﷺ فإن الله لما ضمن إعلاء الدرجة لم

(١) الحبر بالفتح والكسر والجمع أخبار علماء اليهود

(٢) رواه البيهقي من رواية طويلة له باب ما جاء في تعجب الحبر الذي سمعه يقرأ سورة يوسف لموافقتها ما في التوراة وسؤال من سأله عن أسماء النجوم التي رأها ساجدة

يضره سعي الكفار في إبطال أمره وأما قوله (للسائلين) فاعلم أن هذه القصة فيها آيات كثيرة لمن سأله عنها .

المسألة الخامسة : - **﴿وَأَلْقَوْهُ فِي غَيَابِ الْجَبٍ﴾**^(١) اختلفوا في ذلك الجب فقال قتادة : هو بئر بيت المقدس وقال وهب : هو بأرض الأردن وقال مقاتل : هو على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب ، وإنما عينوا ذلك الجب للعلة التي ذكروها وهي قوله **﴿يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾** وذلك لأن تلك البئر كانت معروفة وكانوا يردون عليها كثيرا ، وكان يعلم أنه إذا طرح فيها يكون إلى السلامة أقرب لأن السيارة إذا جازوا وردوها ، وإذا وردوها شاهدوا ذلك الإنسان فيها ، وإذا شهدوا أخرجوه وذهبوا به فكان إلقاءه فيها أبعد عن ال�لاك .

المسألة السادسة : - في قوله **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ تِبْيَانَ مَا رَمَّهُ هُدًى وُهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾**^(٢) قولان : -

الأول : - أن المراد منه الوحي والنبوة والرسالة وهذا قول طائفة عظيمة من المحققين ، ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في أنه عليه السلام هل كان في ذلك الوقت بالغا أو كان صبيا ؟ قال بعضهم إنه كان في ذلك الوقت بالغا وكان سنه سبع عشرة سنة ، وقال آخرون : إنه كان صغيرا إلا أن الله تعالى أكمل عقله وجعله صالحًا لقبول الوحي والنبوة كما في حق عيسى عليه السلام .

الثاني : - أن المراد من هذا الوحي الإلهام كما في قوله تعالى : **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أُمُّ مُوسَى﴾**^(٣) وقوله **﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَيْكَ النَّحْل﴾**^(٤) والأول : أولى لأن الظاهر من الوحي ذلك

(١) ١٠ سورة يوسف

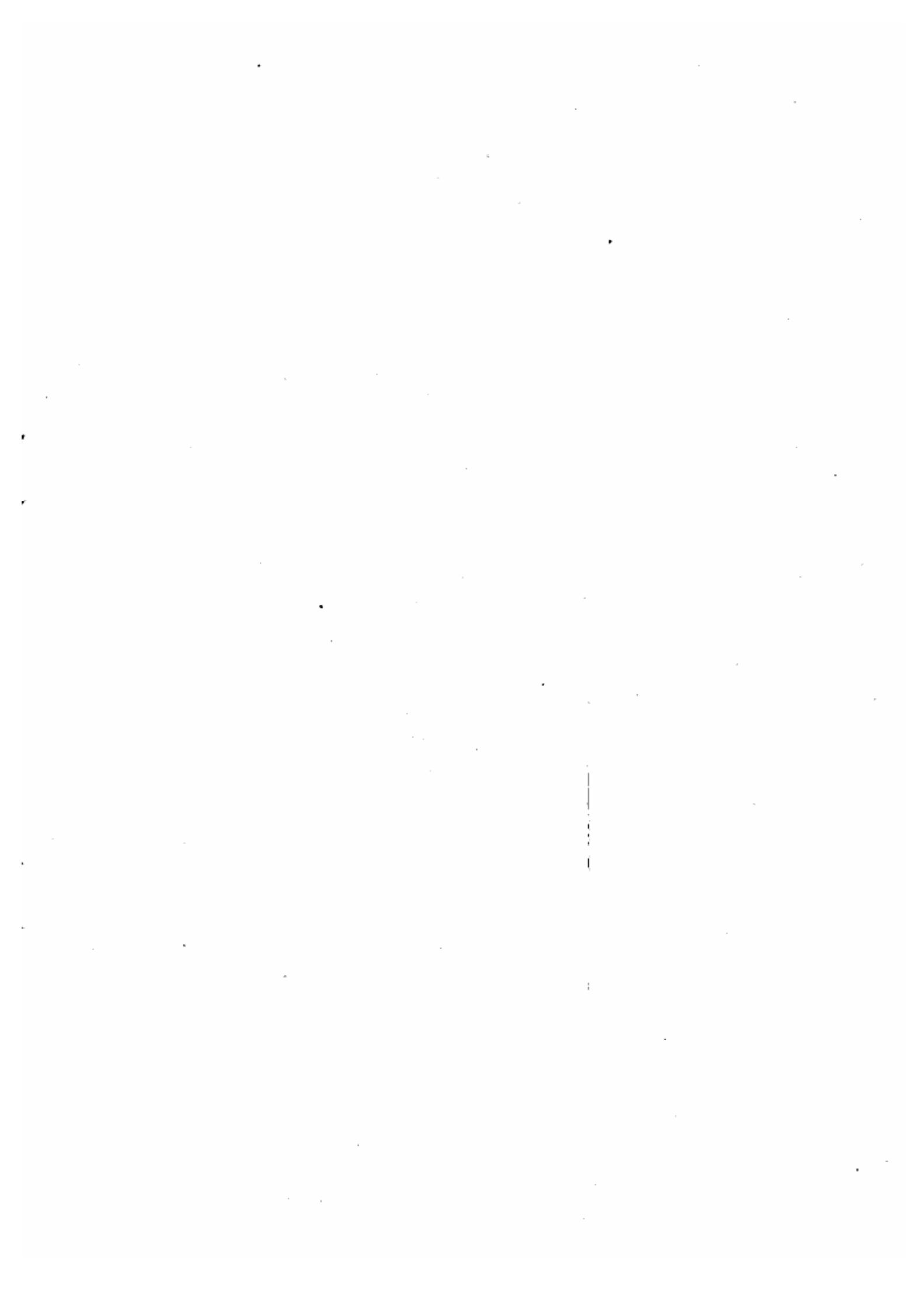
(٢) ١٥ سورة يوسف

(٣) ٧ القصص

(٤) الآية ٦٨ سورة النحل

فإن قيل : كيف يجعله نبيا في ذلك الوقت وليس هناك أحد يبلغه
الرسالة ؟ قلنا لا يمتنع أن يشرفه بالوحى والتنزيل ويأمره بتبلیغ
الرسالة بعد أوقات ويكون فائدة تقديم الوحى تأنيسه وتسكين نفسه
وإزاله الغم والوحشة عن قلبه .





الفصل الثاني

(اتهام)

- ١ - في بيت العزيز - المنن في المحن
- ٢ - مغريات مع إيمان وثبات
- ٣ - واقعة الهم
- ٤ - مع المفسرين
- ٥ - شهادة عظمى
- ٦ - حديث المدينة
- ٧ - يوسف في السجن
- ٨ - سؤالات وأجوبة
- ٩ - مسائل في تفسير الآيات

في بيت العزيز :-

ترك يوسف في الجب وحيدا إلا من عنابة الله وحفظه ورعايته وجاءت القافلة فأرسلوا واردهم فأدلوا دلوه في الجب (البئر) وكانت قليلة الماء ، فتعلق يوسف بالدلو فلما رأوه استبشروا وأخفوه في أمتعتهم وجعلوه بضاعة تباع وباعوه في مصر بشمن دون قيمته لخوفهم أن يدركهم أهله ويعرفوه بينهم ويترزعوه منهم وقال رئيس الشرطة في مصر - بعد أن اشتراه - لزوجته ﴿أَكْرِمِي مَثَوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَحَذَّهُ وَلَدَّا﴾^(١) فكان يوسف أثيراً لديه فجعله صاحب أمره ونهيه والرئيس على خدمه والمتصرف في بيته ، وقد تولى الله يوسف بالهدایة والتربية والتوفيق ، وعلمه من لدنه علماً عظيماً ﴿وَكَذَلِكَ مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْعَلَّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَلَمَا بَلَغَ أَشَدَّهُ أَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِين﴾^(٢)

المن في المحن

وهنا تأق المحن كما قال ابن عطاء «ربما كمنت المحن في المحن» حيث نظرت زوجة العزيز إلى جماله المفرط فأشعغلت نفسها جذوة الحب فأخذت تداعبه وهو يعرض لإيمانه بالله وطهارته من الأرجاس ، ولأمانته مع سيده الذي أكرم مثواه ولما هاج بها هائج الغرام ، صارحته بالقول ودعنته إلى نفسها وأخذت العدة وغلقت

(١) الآية ٢١ يوسف

(٢) الآية ٢١ ، ٢٢ يوسف

الابواب وقالت : ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ قال ﴿ مَعَادُ اللَّهِ إِنَّهُ رَبُّ أَحْسَنِ
مَثَوَىٰ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾^(١).

مغريات مع إيمان وثبات :-

إنه الموقف العنيف : شاب في ريعان شبابه تدعوه سيدته الجميلة إلى نفسها فيغلبه دينه ثم يولي وجهه شطر الباب يطلب النجاة من شيطان غوايتها وهي تحاذبه ثوبه حتى تزق من الخلف إلى أن يصل إلى الباب هو يريد فتحه وهي تحول بينه وبين ما يريد وحينئذ يجد أن بعلها^(٢) عند الباب .

فتتقدم باكية شاكية وينطبق عليها المثل (ضربني وبكى وسبقني واشتكتي) وماذا يقول يوسف في هذا الموقف الحرج ، لكن ابن عمها أظهر فراسته^(٣) في تحقيق الحق من قوتها ظهر كذبها لأن قميصه مرق من الخلف وهي تخبر خلفه وهنا كانت اللائمة عليها فدعى إلى الاستغفار وأمر يوسف بالكتمان . اقرأ قول الله :-

﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . قَالَ هِيَ رَأَوْدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهَدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدْدَمٌ قَبْلَ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنْ الْكَادِيَنِ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدْدَمٌ دُبْرٌ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنْ الصَّادِقِينَ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدْدَمٌ مِنْ دُبْرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدِكُنَّ عَظِيمٌ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾^(٤)

وهنا تطرح تلك التساؤلات التي يجيبنا عليها الفخر الرازي بإفاضة وإقناع .

(١) الآية ٢٣ يوسف

(٢) البعل : الزوج

(٣) الفراسة : التثبت والنظر

(٤) الآيات من ٢٥ - ٢٩ يوسف

السؤال الرابع عشر : - ما تفسير الحكم والعلم **﴿ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾** ؟ وكيف يقول يوسف عن العزيز **﴿ إِنَّهُ رَبٌ ﴾** ؟
 والجواب : الحكم والحكمة : حبس النفس عن هواها ومنعها مما يشينها . فالحكم الحكمة العملية والعلم الحكمة النظرية وقيل الحكم النبوة والعلم : علم الدين ويحتمل أن يكون المراد من الحكم صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على نفسه الأمارة بالسوء ومتى صارت القوة الشهوانية مقهورة فاضت الأنوار القدسية ، والأضواء الإلهية من عالم القدس على جوهر^(۱) النفس ففي قوله **﴿ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾** إشارة إلى استكمال النفس في قوتها العملية والنظرية والله أعلم .

وأما قوله عن العزيز **(إِنَّهُ رَبٌ)** فهو أنه عليه السلام أجرى هذا الكلام بحسب الظاهر وعلى وفق ما كانوا يعتقدون فيه من كونه عبدا له وأيضاً أنه رباه وأنعم عليه بالوجوه الكثيرة . فمعنى بكونه ربأ له كونه مربيا له ، وهذا هن باب المعارض الحسنة .

السؤال الخامس عشر : - ذكر يوسف عليه السلام في الجواب عن كلامها ثلاثة أشياء : -

أحدها قوله **﴿ مَعَاذُ اللَّهِ ﴾** والثانى قوله تعالى عنه **﴿ إِنَّهُ رَبٌ أَحْسَنَ مُثْوَىيَ ﴾** والثالث قوله **﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾** فما وجه تعلق بعض هذا الجواب ببعض ؟

والجواب هذا الترتيب في غاية الحسن وذلك لأن الانقياد لأمر الله تعالى وتکلیفه أهم الأشياء لکثرة انعامه وألطافه في حق العبد فقوله **﴿ مَعَاذُ اللَّهِ ﴾** إشارة إلى أن حق الله تعالى يمنع عن هذا العمل وأيضا حقوق الخلق واجبة الرعاية . فلما كان هذا الرجل قد أنعم في حق تقبیح مقابله إنعامه وإحسانه بالإساءة وأيضا صون النفس عن

(۱) الجوهر : الأصل

الضرر واجب ، وهذه اللذة لذة قليلة يتبعها خزى في الدنيا وعذاب شديد في الآخرة واللذة القليلة اذا لزمهها ضرر شديد فالعقل يقتضي تركها والاحتراز عنها فقوله ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ إشارة إليه ، فثبتت أن هذه الجوابات الثلاثة مرتبة على أحسن وجوه الترتيب .

واقعة الهم

هنا سرح المفسرون وشطحوا ، ووقع الكثيرون منهم في شراك الإسرائييليات حتى إن بعضهم صور الموقف بدقايقه وتفصيلاته مطلقا خياله العنان ، ولم يلتزموا جانب الأدب الإلهي في الإيجاز القرآني والنظر إلى عصمة الأنبياء .

مع الفخر الرازى : - أفض فى هذا الموقف فقال : - إن يوسف عليه السلام كان بريئا عن العمل الباطل واهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول وعن ندب^(١) ، واعلم أن الدلائل الدالة على وجوب عصمة الأنبياء كثيرة . فالزنا من منكرات الكبائر والخيانة في معرض الأمانة أيضا من منكرات الذنوب ، أيضا مقابلة الإحسان العظيم بالإساءة الموجبة للفضيحة التامة والعار الشديد أيضا من منكرات الذنوب ، وأيضا الصبي إذا تربى في حجر إنسان وبقى مكفى المؤنة مصون العرض من أول صباح إلى زمان شبابه وكمال قوته فإذا قدم هذا الصبي على إيصال أقبح أنواع الإساءة إلى ذلك المنعم المعظم من منكرات الأعمال إذا ثبت هذا فنقول إن هذه المعصية التي نسبوها إلى يوسف عليه السلام كانت موصوفة بجميع هذه الجهات الأربع ومثل هذه المعصية لو نسبت إلى أفسق خلق الله تعالى وأبعدهم عن كل خير لاستنکف منه . فكيف يجوز إسنادها إلى الرسول المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة .

(١) ندب : أي ندأفع

وإذا عرفت هذا فنقول الكلام على ظاهر الهم في الآية يقع في مقامين الأول : - أن نقول لانسلم أن يوسف عليه السلام هم بها والدليل عليه : أنه تعالى قال ﴿ وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾^(١) وجواب لولا هنا مقدم وهو كما يقال : قد كنت من المالكين لولا أن فلانا خلصك .

الثاني : - سلمنا أن الهم قد حصل إلا أنا نقول إن قوله ﴿ وَهُمْ بِهَا ﴾ لا يمكن حمله على ظاهره بل المراد هم بدفعها عن نفسه يقال : هممت بفلان أى بضربه ودفعه .

السؤال السادس عشر : ما المراد بالبرهان ؟

يقول الفخر الرازي :

المراد به مقالة المحققون المثبتون للعصمة فقد فسروه بوجوه :
 الأول أنه حجة الله تعالى في تحريم الزنا والعلم بما على الزاف من العقاب والثان : أن الله تعالى طهر نفوس الأنبياء عليهم السلام عن الأخلاق الذميمة بل نقول : إنه تعالى طهر نفوس المتصلين به عنها كما قال ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾^(٢) . فالمراد برؤية البرهان هو حصول تلك الأخلاق ، وتنذير الأحوال الرادعة لهم عن الإقدام على المنكرات والثالث : - أنه رأى مكتوبا في سقف البيت ﴿ وَلَا تَقْرِبُوا الزَّنَنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾^(٣) والرابع : أنه النبوة المانعة من ارتكاب الفواحش والدليل عليه أن الأنبياء بعثوا لمنع الخلق عن القبائح والفضائح فلو أنهم منعوا الناس عنها ثم أقدموا على أقبح أنواعها وأفحش أقسامها لدخلوا تحت قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرُّ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾^(٤) وأيضاً أن الله تعالى .

(١) ٢٤ يوسف . (٢) ٣٣ الأحزاب

(٣) ٣٢ سورة الاسراء . (٤) الآية ٢ : ٣ الصاف

غير اليهود بقوله ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْإِيمَانِ وَتَنْسُونَ أَنفُسَكُمْ﴾^(١)
وما يكون عيبا في حق اليهود فكيف ينسب إلى الرسول المؤيد
بالمعجزات .

السؤال السابع عشر : - ما الفرق بين السوء والفحشاء في قوله
﴿لِنُصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ في الفرق بين السوء والفحشاء
وجوه : الأول : أن السوء جنابة اليد والفحشاء هو الزنا .

الثاني : السوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بالشهوة
والفحشاء هو الزنا . أما قوله ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^(٢) أي
الذين أخلصوا دينهم لله تعالى ، ويحتمل أن يكون المراد أنه من ذرية
إبراهيم عليه السلام الذين قال الله فيهم ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصِهِ
ذُكْرَى الدَّارِ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمَنِ الْمُصْطَفَى إِلَّا خَيْرٌ﴾^(٣) .

مع المفسرين في المراد بالهم : -

يقول ناصر الدين البيضاوى : - المراد بهم عليه السلام ميل
الطبع ومنازعة الشهوة لاقصد الاختيارى وذلك مما لا يدخل تحت
التكليف بل الحقيق بالمدح والأجر الجزيل من الله من يكف نفسه
عن الفعل عند قيام هذا اهتم أو مشارفة اهتم كقولك (قتلته لو لم
أخف الله) .

ويقول علماء لجنة القرآن والسنّة في المنتخب : -

ولقد عزمت أن تخالطه ونمازعه نفسه إليها لو لا أن رأى نور الله
الحق نصب عينيه قد استضاء به ولم يطأع ميل النفس ، وارتفع عن
الهوى ، فامتنع عن المعصية والخيانة ، وثبت على طهره وعفته ،

(١) ٤٤ سورة البقرة

(٢) ٢٤ يوسف (٣) ٤٦ ، ٤٧ سورة ص

وهكذا ثبّتنا يوسف على الطهر والعفاف لنصرف عنه سوء الخيانة ومعصية الزف إله من عباد الله الذين أخلصوا دينهم لله . وفي صفوّة التفاسير : - وهم بها - أى مالت نفسه إليها بمقتضى الطبيعة البشرية ، وحدثته نفسه بالنزول عند رغبتها حديث نفس دون عزم وقدد في بين الهمين فرق كبير وهذا من باب المشاكلة في البلاغة وهي الاتفاق في اللفظ مع الاختلاف في المعنى «^(١)» .

وقال أبو السعود في تفسيره : - إن همه بها بمعنى ميله إليها بمقتضى الطبيعة البشرية ميلاً جليلًا لا أنه قصدّها اختيارياً ألا يرى إلى ما سبق من استعصامه النبيء عن كمال كراهيته له ونفرته عنه وحكمه بعدم إفلاح الظالمين ، وهل هو إلا تسجيل بإستحالة صدور لهم منه تسجيلاً محكمًا؟ وما قيل إنه حل الهميان وجلس مجلس الختان فإنما هي خرافات وأباطيل مجدها الآذان وتردها العقول والأذهان » .

وفي ظلال القرآن : يقول - المرحوم « سيد قطب » « أما الذي خطر لي وأنا أراجع النصوص ، وأراجع الظروف التي عاش فيها يوسف في داخل القصر مع هذه المرأة الناضجة فترة من الزمن طويلة ، وقبل أن يُؤقِّن الحكم والعلم وبعد ما أُوتِيَّها . الذي خطر لي أن قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾^(٢) »

هو نهاية موقف طويل من الإغراء ، بعد ما أبى يوسف في أول الأمر واستعصم ، وهو تصوير واقعى صادق لحالة النفس البشرية الصالحة في المقاومة والضعف ، ثم الاعتصام بالله في النهاية

(١) المشاكلة كقول الشاعر :

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخة قلت اطبخوا لي جبة وقميصاً

(٢) ٢٤ يوسف

والنجاة ، ولكن السياق القرافي لم يفصل في تلك المشاعر البشرية المتداخلة المتعارضة المترافق لأن النهج القرافي لا يريد أن يجعل من هذه اللحظة معرضا يستغرق أكثر من مساحته المناسبة في محيط القصة ، وفي محيط الحياة البشرية المتكاملة كذلك ، فذكر طرف الموقف بين الاعتصام في أوله والاعتراض في نهايته ، مع الإمام بلحظة الضعف بينما ليكتمل الصدق والواقعية والجو النظيف جائعا وهو أقرب إلى الطبيعة البشرية وإلى العصمة النبوية وما كان يوسف سوي بشر نعم انه بشر ممتاز ومن ثم لم يتتجاوز همه الميل النفسي في لحظة من اللحظات فلما أن رأى برهان ربه الذي نبض في ضميره وفي قلبه بعد لحظة الضعف الطارئة عاد إلى الاعتصام والتائب»^(١) .

شهادة عظمى : - يقول الفخر الرازى في تفسيره ما خلاصته : - أنه شهد ببراءة يوسف رب العزة حيث قال «إنه من عبادنا المخلصين» وشهد الشيطان ببراءته حيث جاء في القرآن «فِي عَزَّتِكَ لَا غُوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادُكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ»^(٢) وشهد ببراءته الشاهد من أهل العزيز إذ قال «إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدْ مِنْ قُبْلِ فَصَدَقْتُ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدْ مِنْ دُبْرِ فَكَذَبْتُ وَهُوَ مِنَ الصَادِقِينَ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدْ مِنْ دُبْرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدُكُنْ إِنْ كَيْدُكُنْ عَظِيمٌ» وشهد ببراءته النسوة اللاحئى قطعن أيديهن بقوطن «مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ»^(٣) وشهدت ببراءته زوجة العزيز بقوتها «إِنَّ حَضْحَضَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمَنِ الصَادِقِينَ»^(٤) فالذى يريد أن يتهم يوسف باهتم عليه أن يختار أن يكون من حزب الله أو من حزب الشيطان وكلاهما شهد ببراءة يوسف فلا معز له من الإقرار بالحق على أى حال ، وهو براءة يوسف من اتهم بها »

١ - جزء ٤ ص ١٩٨١ ، ١٩٨٢ ظلال القرآن

٢ - ٨٢ ، ٨٣ سورة ص

٣ - ٥١ يوسف

٤ - ٥١ سورة يوسف

حديث المدينة : -

شاع الخبر ولاكته أفواه النساء باللوم على زوجة العزيز ودوى هذا اللوم في أذنها ، فأخذت تكيد هن ، فأرسلت إلى طائفة من مثيلاتها ، وقدمت هن طعاما يقطع بالسكين من فاكهة أو لحم وقالت له : اخرج عليهن فلما ظهر أخذهن حسنة الرائع وجماله البارع فجرحن أيديهن من فرط الدهشة والذهول ، وهن يقطعن طعامهن قلن متعجبات مندهشات تنزيها لله ما هذا الذي نراه بشرأ لأن البشر لا يكونون على هذا الحسن والجمال والصفاء والنقاء ، ما هذا إلا ملك كثير المحاسن طيب الشمائل ، سخي الصفات .

وهنا قالت هن « فَذِلِّكُنَ الَّذِي لَمْ تُشْتِي فِيهِ وَلَقَدْ رَأَوْدَتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَأَسْتَغْصِمُ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمْرَهُ لَيُسْجَنَ وَلَيَكُونُنَا مِنَ الصَّاغِرِينَ »^(١) .

مع الفخر الرازى : - نعود إلى إمام الرازى ليجيبنا على مسائله وتساؤلاته بما يقنع ويفهم وما يشبع الجائعين .

السؤال الثامن عشر : - لم لم يقل (وقالت نسوة) .
قلنا لوجهين : الأول أن النسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي فلذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث الثاني : قال الواحدى تقديم الفعل يدعون إلى إسقاط علامات التأنيث على قياس إسقاط علامات الثنوية والجمع .

السؤال التاسع عشر : - فإن قيل إنه تعالى لما خلق الإنسان ضعيفاً فكيف وصف كيد المرأة بالعظم ، وأيضاً فكيد الرجال قد يزيد على كيد النساء ؟

والجواب عن الأول : أن خلقة الإنسان بالنسبة إلى خلقة الملائكة

(١) يوسف ٣٢

والسموات والكواكب خلقة ضعيفة وكيد النسوات بالنسبة إلى كيد البشر عظيم ولا منافاة بين القولين . وأيضاً فالنساء هن في هذا الباب من المكر والخيل ما لا يكون للرجال ولأن كيدهن في هذا الباب يورث من العار ما لا يورثه كيد الرجال .

السؤال العشرون : - فإن قيل : فلم قالت (فَذِلِّكُنَّ) مع أن يوسف عليه السلام كان حاضرا؟

والجواب عنه من وجوه : الأول قال ابن الأبارى أشارت بصيغة ذلken إلى يوسف بعد انصرافه من المجلس . والثانى وهو الذى ذكره صاحب الكشاف وهو أحسن ما قيل : إن النسوة كن يقلن . إنها عشقت عبدها الكنعاني ، فلما رأينه ووقن في تلك الدهشة قالت : هذا الذى رأيتمه هو ذلك العبد الكنعاني الذى لقنتني فيه يعني : أنك لم تتصورنه حق تصوره ولو حصلت في خيالك صورته لتركتن هذه الملامة .

يوسف في السجن يدعو لدينه :

أدخل يوسف السجن على غير جريمة أتاهما ، وإنما كان ذلك سعياً في إخفاء فضيحة زوجة العزيز ودخل معه السجن غلامان كانا للملك الأكبر بمصر أحدهما صاحب طعامه والأخر صاحب شرابه رفع إليه أن صاحب طعامه يريد أن يسمه وظن أن الآخر يساعدته عليه فأمر بحبسهما .

وبعد يوم جاء إلى يوسف صاحب شراب الملك وأخبره أنه رأى في منامه أنه يعصر في كأس الملك الخمر يتناول العنقود من العنب ويغصه في كأس الملك وجاء الخباز صاحب طعام الملك وقال : إن رأيت فوق رأسي طبقاً من الخبز والطير تأكل منه وطلباً إليه أن ينبيء

كل واحد منها بتأويل ما رأى في منامه انتهز يوسف الفرصة ليعلن لهم دينه ويدعوهم إليه وقام فيهم خطيباً يخبرهم بمقدراته على تأويل الرؤيا وإخبارها بما يأتيها من طعام قبل إتيانه وكيفية صنعه.

وذلك من تعليم الله له لأنه ترك قوماً لا يصدقون بالله ولا بالأخرة واتبع دين آبائه إبراهيم وإسحق ويعقوب فما صح لنا أن نجعل لله شريكاً بل تفضل علينا بالتوحيد ولكن أكثر الناس لا يتلقون هذا الفضل بالشكر بل بالكفر وسائل صاحبيه : - ﴿ أَرْبَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أُمَّ اللَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾^(١) ما تعبدون من غير الله إلا أسماء أطلقتموها أنتم وأباءكم على أوهام لا وجود لها ، فلا عبادة إلا لله وحده فذلك هو الدين القويم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ما هم عليه من جهل وضلال ، ولا يسترشدون بهذه الأدلة وانتهى من خطبته الوعظية ليقول لها : إن الذي رأى أنه يعصر العنب سيخرج من السجن ويسبق الملك خمراً وأما الثانى فإنه سيفصل فتأكل الطير من رأسه .

ثم الأمر على الوجه الذى بيته فيما طلبان فيه تأويل الرؤيا ، وطلب من الناجى أن يذكره أمام الملك لعله ينصفه وينقذه لكن الشيطان شغله وأنساه فبقى يوسف في السجن سنتين لا تقل عن ثلاط .

وقفة مع الفخر الرازى : - يقول في الآية سؤالات : -

السؤال الحادى والعشرون : كيف عرفا أنه عليه السلام عالم بالتعبير ؟

والجواب : لعله عليه السلام سألهما عن حزنها وغمها فذكرها إنا رأينا في المنام هذه الرؤيا ، ويتحمل أنها رأياء وقد أظهر معرفته بأمور منها تعبير الرؤيا فعندها ذكرها له ذلك .

السؤال الثاني والعشرون : — ماحقيقة علم التعبير؟ وما معنى التأويل؟

الجواب : القرآن والبرهان يدلان على صحته . أما القرآن فهذه الآية ، وأما البرهان فهو أنه قد ثبت أنه سبحانه خلق جوهر النفس الناطقة بحيث يمكنها الصعود إلى عالم الأفلاك ، ومطالعة اللوح المحفوظ . والمانع لها من ذلك اشتغالها بتدبیر البدن وفي وقت النوم يقل هذا التشاغل فتقوى على هذه المطالعة فإذا وقعت الروح على حالة من الأحوال تركت آثارا مخصوصة مناسبة لذلك الإدراك الروحاني إلى عالم الخيال فالمعبر يستدل بذلك الآثار الخيالية على تلك الإدراكات العقلية فهذا كلام مجمل وتفصيله مذكور في الكتب العقلية . والشريعة مؤكدة له روى عن النبي ﷺ أنه قال «رؤيا ثلاثة : رؤيا ما يحدث به الرجل نفسه ، ورؤيا تحدث من الشيطان ، ورؤيا التي هي الرؤيا الصادقة حقه »^(١) وهذا تقسيم صحيح في العلوم العقلية .

وقال عليه السلام «رؤيا الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة»^(٢)

(١) رواه مسلم بنحوه في كتاب الرؤيا . حديث (٤٦) / ١٧٧٣ . والترمذى بنحوه في الرؤيا . أبواب أن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ، تأويل الرؤيا ما يستحب منها وما يكره ، ما جاء في رؤيا النبي الميزان والدلـو . ١٢٣ / ٩ ، ١٣٣ ، ١٥٠ .

وابن ماجه بنحوه في كتاب تعبير الرؤيا . باب الرؤيا ثلاـث حديث ٣٩٠٦ ، ٣٩٠٧ .

(٢) رواه البخارى في التعبير بباب الرؤيا الصالحة جزء من ست وأربعين جزءا من النبوة بلفظ «رؤيا المؤمن ، الرؤيا الصالحة » وفي باب رؤيا الصالحين بلفظ «الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح » ٤ / ٢٠٨ ، ٢٠٩ . ومسلم بنحوه في كتاب الرؤيا حديث (٨) وباللفاظ أخرى حديث ٧ ، ٨ ، ٩ ، ٤ / ١٧٧٤ ، ١٧٧٥ . كما رواه أبو داود والترمذى والنمسائى وابن ماجه والدارمى ومالك في الموطأ وأحمد فى المسند .

ومعنى التأويل : تأويل الشيء ما يرجع إليه وهو الذي يقول إليه آخر ذلك الأمر .

السؤال الثالث والعشرون : - كيف يعقل عصر الخمر ؟
الجواب : فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن يكون المعنى أعنف عنب خمر أى العنف الذي يكون عصيره خمرا فحذف المضاف الثاني : أن العرب تسمى الشيء باسم ما يقول إليه إذا انكشف المعنى ولم يتبيّس يقولون فلان يطبخ دبسا^(١) وهو يطبخ عصيرا والثالث قال أبو صالح : أهل عمان يسمون العنف بالخمر فوّقعت هذه اللفظة إلى أهل مكة فنطقوا بها قال الصحّاك : نزل القرآن بآل سنة جميع العرب .

السؤال الرابع والعشرون : ما المراد من قوله ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢) الجواب من وجوه : الأول معناه إننا نراك تؤثّر الإحسان وتتأكّل بمحكّار الأخلاق وجميع الأفعال الحميدة . قيل إنه كان يعود مرضاهم ، ويؤنس حزينهم فقالوا إنك من المحسنين أى في حق الشركاء والأصحاب ، وقيل : إنه كان شديد المواظبة على الطاعات من الصوم والصلة فقالوا إنك من المحسنين في أمر الدين ومن كان كذلك فإنه يوثق بما يقوله في تعبير الرؤيا وفي سائر الأمور وقيل المراد ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ في علم التعبير وذلك لأنّه متى عبر لم يخط كما قال ﴿وَعَلِمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾^(٣) .

السؤال الخامس والعشرون : - ما الفائدة من قوله ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي﴾^(٤) ولما كان نبيا فكيف قالها والنبي لابد وان يكون مختصا
بشرعية نفسه ؟

(١) الدبس : ما يسلّل من الرطب (ختار الصحاح)

(٢) ٣٦ يوسف (٣) ١٠١ يوسف

(٤) ٣٨ يوسف .

الجواب : أنه عليه السلام لما ادعى النبوة وتحدى بالمعجزة وهو علم الغيب قرن به كونه من أهل بيت النبوة، وأن أباه وجده وجده أبيه كانوا أنبياء الله ورسله فإن الإنسان متى ادعى حرفه أبيه وجده لم يستبعد ذلك منه ، وأيضا فكما أن درجة إبراهيم عليه السلام وإسحاق وبعثوب كان أمرا مشهورا في الدنيا فإذا ظهر أنه ولدهم عظمه ونظروا إليه بعين الإجلال فكان انقيادهم له أتم وتأثير قلوبهم بكلامه أكمل ومراده بالاتباع التوحيد الذي لم يتغير وأيضا لعله كان رسولا من عند الله إلا أنه كان على شريعة إبراهيم عليه السلام .

السؤال السادس والعشرون : - «أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» لم سماها أرباباً وليس كذلك ؟

والجواب : لاعتقادهم فيها أنها كذلك وأيضا الكلام خرج على سبيل الفرض والتقدير : والمعنى أنها إن كانت أرباباً فهم خير أم الله الواحد القهار . ومن السؤالات ننتقل إلى المسائل :

المسألة السابعة : - «وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ»^(١) قال الوحدى هيت لك اسم للفعل ومعناه هلم في قول جميع أهل اللغة وهي مفتوحة الهاء والتاء ويجوز كسر التاء ورفعها وهيت لك بالعبرانية هيالع أي تعال عربه القرآن وقال الفراء أنها لغة لأهل حوران سقطت إلى بكرة فتكلموا بها .

المسألة الثامنة : - «قُدْ شَغَفَهَا حُبًا»^(٢) الشغاف فيه وجوه : -

الأول : - أن الشغاف جلد محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب فقوله «شَغَفَهَا حُبًا» أي دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب

والثاني : - أن حبه أحاط بقلبها مثل إحاطة الشغاف بالقلب ومعنى إحاطة ذلك الحب بقلبها هو أن اشتغala بحبه صار حجابا بينها وبين كل ماسوى هذه المحبة فلا تعقل سواه ولا يخطر ببالها إلا إيه الثالث قال الزجاج الشغاف حبة القلب وسويداء القلب ومعنى أنه وصل حبه إلى سويداء قلبها وبالجملة فهذا كناية عن الحب الشديد والعشق العظيم .

(١) الآية ٢٣ - يوسف (٢) الآية ٣٠ يوسف

المُسَأْلَةُ التَّاسِعَةُ : «فَلَمَّا سَمِعْتُ بِمُكْرِهِنَ أَرْسَلْتُ إِلَيْهِنَ وَأَعْتَدْتُ
لُهُنَّ مَتَّكِئًا»^(١).

المراد أنها سمعت قولهن وإنما سمي قولهن مكرا لوجوه .
الأول : - أن النسوة إنما ذكرت ذلك الكلام استدعاء لرؤيه يوسف عليه السلام والنظر إلى وجهه لأنهن عرفن أنهن إذا قلن ذلك عرضت يوسف عليهن ليتمهد عذرها عندهن . الثاني : - أن امرأة العزيز أسرت إليهن حبها ليوسف وطلبت منهن كتمان هذا السر ، فلما أظهرن السر كان ذلك غدرا ومكرا الثالث أنهن وقعن في غيبتها والغيبة تذكر على سبيل الخفية فأشبها المكر .

المُسَأْلَةُ الْعَاشِرَةُ : - «إِنَّ تَرَكْتُ مَلَةً قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُمْ
بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ»^(٢) تؤهم أنه عليه السلام كان في هذه الملة
فنقول جوابه من وجوه : الأول : أن الترك عبارة عن عدم العرض
للشيء وليس من شرطه أن يكون قد كان خائضا فيه . الثاني : -
وهو الأصح أن يقال إنه عليه السلام كان عبدا لهم بحسب زعمهم
واعتقادهم الفاسد ، ولعله قبل ذلك كان لا يظهر التوحيد والإيمان
خوفا منهم على سبيل التückة ثم إنه أظهره في هذا الوقت فكان هذا
جاريا مجرى ترك ملة أولئك الكفرا بحسب الظاهر .

المُسَأْلَةُ الْحَادِيَةُ عَشْرَةُ : - «فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ»^(٣) الشيطان
يمكنه إلقاء الوسوسه وأما النسيان فلا ، لأنه عبارة عن إزالة العلم
عن القلب ، والشيطان لا قدرة له عليه وإلا لكان قد أزال معرفة
الله تعالى عن قلوب بني آدم . وجوابه : أنه يمكنه من حيث إنه
بوسوسه يدعوه إلى سائر الأعمال واستغلال الإنسان بسائر الأعمال
يمنعه عن استحضار ذلك العلم وتلك المعرفة .

المُسَأْلَةُ الثَّانِيَةُ عَشْرَةُ : - «فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسَوَةِ الْلَّاقِ قَطَعْنَ
أَيْدِيهِنَّ»^(٤) اعلم أن هذه الآية فيها أنواع من اللطائف : أولاها : أن

(١) ٣١ يوسف (٢) ٣٧ - يوسف

(٣) ٤٢ - يوسف (٤) ٥٠ يوسف

معنى الآية : فسل الملك بأن يسأل ما شأن تلك النسوة وما حاولن ليعلم براءة عن تلك التهمة . إلا أنه اقتصر على أن يسأل الملك عن تلك الواقعة لثلا يشتمل اللفظ على ما يجري أمر الملك بعمل أو فعل وثانيها : أنه لم يذكر سيدته مع أنها هي التي سعت في إلقائه في السجن الطويل بل اقتصر على ذكر سائر النسوة وثالثها أن الظاهر أن أولئك النسوة نسبته إلى عمل قبيح وفعل شنيع عند الملك ، فاقتصر يوسف على مجرد قوله ﴿ مَابَالنِّسْوَةِ الَّاتِيَ قَطَعْنَ أَيْدِيهِنَ ﴾ وما شكا منها على سبيل التعيين والتفضيل ، ثم قال بعد ذلك ﴿ إِنَّ رَبِّ بَكَيْدِهِنَ عَلِيمٌ ﴾ وفي المراد من قوله ﴿ إِنَّ رَبِّ ﴾ وجهان : الأول أنه هو الله تعالى ، لأنه تعالى هو العالم بخفيات الأمور ، والثاني أن المراد الملك وجعله ربًا لنفسه لكونه مربيا له وفيه إشارة إلى كون ذلك الملك عالما بكيدتها ومكرها .

المسألة الثالثة عشرة : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَارَةٍ بِالسُّوءِ ﴽ^(۱) اختلاف الحكماء في أن النفس أマارة بالسوء ماهي ؟ والمحققون قالوا إن النفس الإنسانية شيء واحد ولها صفات كثيرة : فإذا مالت إلى العالم الإلهي كانت نفسها مطمئنة ، وإذا مالت إلى الشهوة والغضب كانت أماره بالسوء وكونها أماره بالسوء يفيد المبالغة . والسبب فيه أن النفس من أول حدوثها قد ألفت المحسوسات والتذذت بها وعشقتها فأما شعورها بعالم المجردات وميلها إليه ، فذلك لا يحصل إلا نادرا في حق الواحد وذلك الواحد فإنما يحصل له ذلك التجدد والانكشاف طول عمره في الأوقات النادرة فلما كان الغالب هو انجذابها إلى العالم الجسدي ، وكان ميلها إلى الصعود إلى العالم الأعلى نادرا لا جرم حكم عليها بكونها أماره بالسوء ، ومن الناس من زعم أن النفس المطمئنة هي النفس العقلية النطقية ، وأما النفس الشهوانية والغبية فيها معايرتان للنفس العقلية .

(۱) يوسف ۵۳

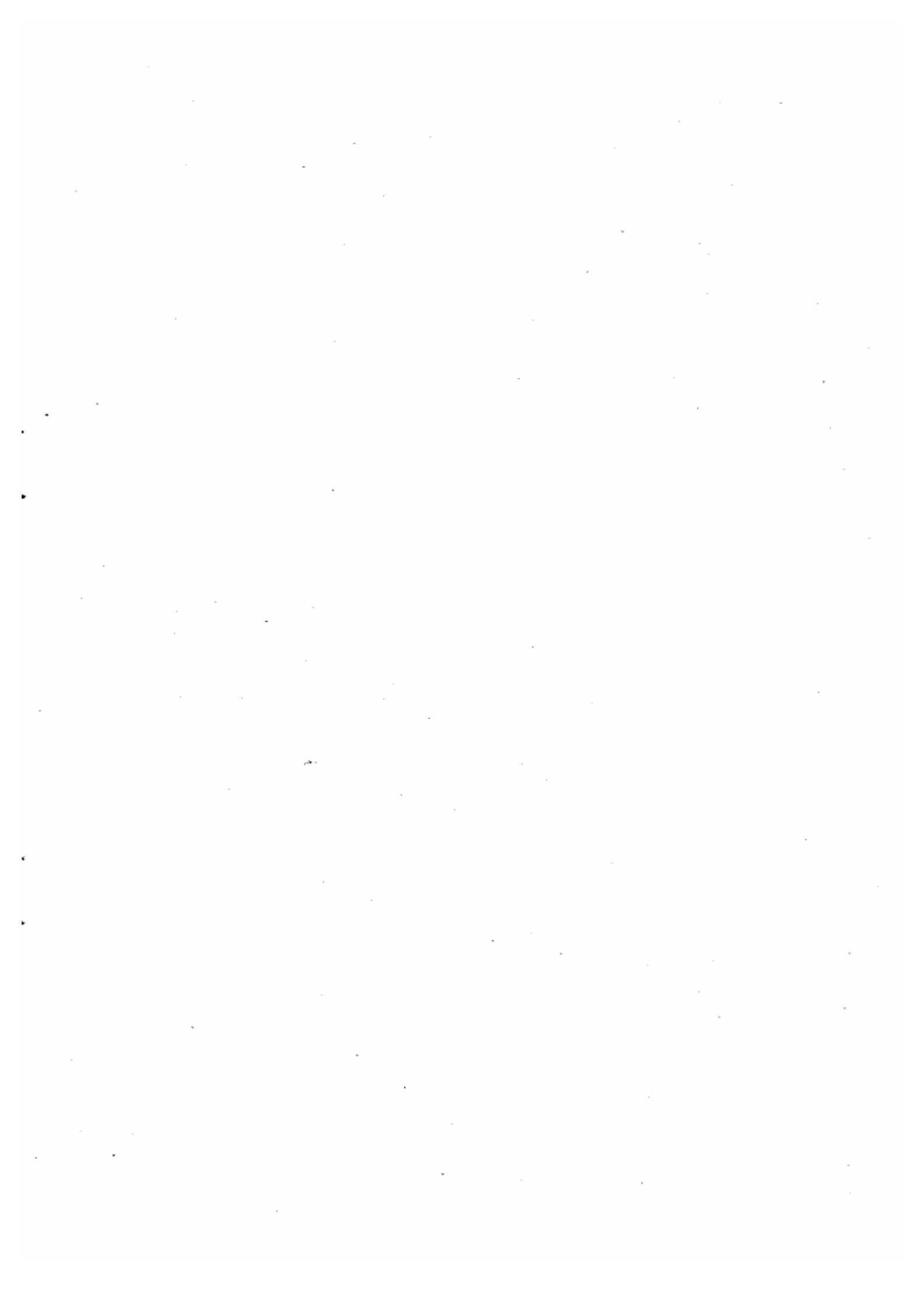
المسألة الرابعة عشرة : - ﴿إِلَّا مَارَحَمَ رَبِّ﴾^(١) تمسك أصحابنا في أن الطاعة والإيمان لا يحصلان إلا من الله بهذه الآية : قالوا دلت الآية على أن انصراف النفس من الشر لا يكون إلا برحمته ولفظ الآية مشعر بأنه متى حصلت تلك الرحمة حصل ذلك الانصراف فنقول : لا يمكن تفسير هذه الرحمة بإعطاء العقل والقدرة والإلطاف كما قاله القاضي لأن كل ذلك مشترك بين الكافر والمؤمن فوجب تفسيرها بشيء آخر وهو ترجيح داعية الطاعة على داعية المعصية وقد أثبتنا ذلك أيضا بالبرهان القاطع وحيثند يحصل منه المطلوب لأن ما يعني من والتقدير من رحم رب وما ومن كل واحد منها يقوم مقام الآخر والمعنى ما رحم إلا البعض الذي رحمه رب بالعصمة كالملائكة أو إلا وقت رحمة رب يعني أنها أمارة بالسوء في كل وقت إلا في وقت العصمة .



«الفصل الثالث»

- براءة وإكرام -

- ١ - العزيز ورؤيه .
- ٢ - يوسف وتعبيره للرؤيا .
- ٣ - على خزائن الأرض .
- ٤ - سؤالات وأجوبة .
- ٥ - مسائل في التفسير .



العزيز ورؤياه : -

رأى العزيز أن سبع بقرات جميلات طالعة من النهر فارتعدت البقرات في روضة ، ثم رأى سبع بقرات أخرى قبيحة المنظر عجافا خرجت من النهر وأكلت البقرات الأولى السميكة . ثم استيقظ من نومه ثم عاد إلى رقاده فرأى سبع سنابل خضراء حسنة طالعة في ساق واحدة ، وإذا سبع يابسات خلفها قد عدت على السنابل الخضر فأكلتها فجمع الكهنة وذكرا هم . فقال القوم هذه الرؤيا مختلطة فلا نقدر على تأويلها وتعبيرها . في ذلك الوقت انتبه الناجي من السجن وقال : إن في الحبس رجالا صالحا فاضلا كثير العلم كثير الطاعة قصصت أنا والخباز منامين فذكر تأويلهما فصدق في الكل وما أخطأ في حرف فإن أذنت مضيت إليه وجئتكم بالجواب ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَاهَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسَلُونِ ﴾^(١)

يوسف ورؤيا العزيز : -

فليا التقى يوسف قال له ﴿ أَيُّهَا الصَّدِيقُ أَفْتَنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتِ سِمَانٍ يَا كُلُّهُنَّ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَآخَرَ يَابِسَاتٍ ﴾^(٢) فأخبره يوسف بتأويل ذلك . وهو أن مصر يأس عليها سبع سنين تحود الأرض فيها بالغلات الوافرة ، ثم سبع سنين مجدهبة تأتي على المخزون من السنين السبع المتقدمة ، ثم بعد ذلك تأتي أعوام الخصب والرغد ، وأن عليهم أن يقتضدوا في سنى الخصب السبع ويذخروا ما فضل عن القوت في سبله حتى إذا حل الجدب وجدوا في مخازنهم ما يسد الرمق إلى أن يأتي الخصب . رجع ساقى الملك وأخبره بما قال يوسف فاستحسن تعبيره وقال ائتوف به : وهذا يدل على فضيلة العلم فإنه سبحانه جعل علمه سببا لخلاصه من المحن الدنيوية فكيف لا يكون العلم سببا للخلاص من المحن

^(١) ٤٥ يوسف ^(٢) ٤٦ يوسف .

الأخروية فعاد ساقى الملك إلى يوسف وقال أجب الملك فأبى يوسف أن يخرج من السجن إلا بعد أن ينكشف أمره وتزول التهمة بالكلية عنه، وعنه النبي ﷺ عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أجبتهم حتى اشترطت أن يخرجون ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين أتاه الرسول فقال «أرجع إلى ربك» ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب ولكنه أراد أن يكون له العذر^(١).

اعتراف بالمارودة :-

استحضر الملك النسوة وسأهلن : ماذا كان حالك حين حاولتن خداع يوسف ليغفل عن عصمته وطهارة نفسه ؟ هل وجدتن منه ميلاً إليك ؟ فأجبته تنزه الله عن أن يكون نسي عبده حتى تلوث طهره فما لستنا فيه شيئاً يشين ، وحينئذ اندفعت زوجة العزيز لتقول : الآن وضح الحق وظهر أنا التي حاولت فتنته عن نفسه بالإغراء فاستمسك بعصمته وأؤكد أنه من أهل الصدق والحق حين ردَّ التهمة على ونسبيها إلى ، إنى لم أستغل غيبته في السجن ، وأتمادي في الخيانة لأن الله لا ينجح كيد الخائنين وما أدعى عصمة نفسى من الزلل ، فإن النفس تميل بطبعها إلى الشهوات وتزيين السوء والشر إلا نفس من حفظه الله وصرفه عن السوء وإنى لأطمع في رحمة الله وغفرانه لأنه واسع الغفران لذنوب التائبين .

يقول الشهيد سيد قطب عليه الرحمه : من هذا نعلم شيئاً مما دار في حفل الاستقبال في بيت العزيز ، وما قالته النسوة ليوسف وما أشرن إليه من الإغراء الذي يبلغ درجة المراودة ، ومن هذا تخيل صورة هذه الأوساط ونسائها حتى في ذلك العهد الموغل في التاريخ فالجاهلية دائماً هي الجاهلية . إنه حيثما كان الترف وكانت القصور

(١) انظر تفسير ابن كثير حيث قال : هنا حديث مرسل ٤٨١/٢

والحاشية كان التحلل والتميع والفحور الناعم الذي يرتدي ثياب الارستقراطية .

يقول الفخر الرازى : -

اعلم أنه تعالى إذا أراد شيئاً هياً له أسباباً ، لما دنا فرج يوسف عليه السلام رأى ملك مصر رؤيا البقرات والستانبل فاستولى الناقص الضعيف على الكامل فشهدت فطرته بأن هذا ليس بجيد ، وأنه منذر بنوع من أنواع الشر ولذا قلق وأضطرب ..

ومن الآيات تتوقف ليجيبنا على التساؤلات :

السؤال السابع والعشرون : - لم قال ﴿فَدَرُوهُ فِي سُبْلِهِ﴾^(١)؟
والجواب : أن بقاء الحب في السنابل حتى لا يفسد ولا يقع السوس فيه . لأن إبقاء الحبة في سبنبله يوجب بقاءها على الصلاح .^(٢)

السؤال الثامن والعشرون : - لماذا لم يسارع يوسف بالخروج من السجن وطلب أن يتفحص الملك عن حاله ؟

والجواب : - يأتي من وجوه :

الأول أنه لو خرج في الحال فربما كان يبقى في قلب الملك من تلك التهمة أثراً لها ، فلما التمس من الملك أن يتفحص عن حال تلك الواقعة دل ذلك على براءته من تلك التهمة وبعد خروجه لا يقدر أحد أن يلطخه بتلك الرذيلة وأن يتوصل بها إلى الطعن فيه .

الثانى : أن الإنسان الذى يبقى في السجن اثنى عشرة سنة إذا طلبه الملك وأمر بإخراجه الظاهر أنه يبادر بالخروج فحيث لم يخرج عرف منه كونه في نهاية العقل والصبر والثبات وذلك يصير سبباً لأن يعتقد

(١) ٤٧ يوسف .

(٢) يتفق هذا مع ما وصل إليه العلم من أن ترك الحب في سنابله عند تخزينه وقاية له من التلف مع بقاء الغذاء .

فيه بالبراءة عن جميع أنواع التهم ولأن يحكم بأن كل ما قيل فيه كان كذبا وبهانا .

الثالث : - أن التماسه من الملك أن يتفحص عن حاله من تلك النسوة يدل أيضا على شدة طهارته إذ لو كان ملوثا بوجه ما لكان خائفا أن يذكر ما سبق .

السؤال التاسع والعشرون : - على لسان من جاء قول الله ﷺ وما أَبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَارَحَمَ رَبِّ إِنَّ رَبَّنَا غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ الجواب تفسير هذه الآية مختلف بحسب اختلاف ما قبلها لأننا إن قلنا إن قوله ﷺ ذلك لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْتُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴿٢﴾ كلام يوسف كان هذا أيضا من كلام يوسف ، وإن قلنا إن ذلك من تمام كلام المرأة كان هذا أيضا كذلك ”أى من تمام كلامها“ أه .

يقول صاحب ”صفوة التفاسير“ الأظهر أن هذا من كلام يوسف قاله لما وصله براءة النسوة له والمعنى : ذلك الأمر الذى فعلته من رد الرسول حتى تظهر براعق ليعلم العزيز أنى لم أخنه في زوجته في غيبته بل تعافت عنها ، ولا أزكي نفسي ولا أنزهاها فإن النفس البشرية ميالة إلى الشهوات ”قاله يوسف على وجه التواضع“

وفي المنتخب في تفسير القرآن الكريم : - أن هذا من كلام زوجة العزيز حيث قالت ”هذا اعتراف مني بالحق أقدمه ليستيقن يوسف أنى لم أستغل غيبته في السجن وأتمادي في الخيانة وأعول على ثبيت اتهامه لأن الله لا ينجح تدبير الخائنين“

ويقول صاحب قصص الأنبياء : -^(٣)

يجعل بعض المفسرين قوله تعالى ﷺ وما أَبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ

(١) ٥٣ يوسف (٢) ٥٢ يوسف .

(٢) الشيخ عبد الوهاب النجاشي - رحمه الله ص ١٣٠

لَامَارَهُ بِالسُّوءِ إِلَّا مَارِحَمَ رَبِّي ﴿١﴾ من كلام يوسف وهو خطأ لأن نظم الآيات وروح الموضوع يأبىان ذلك وإنما هو من قول امرأة العزيز لأن ذلك صدر و يوسف في السجن قبل أن يقول الملك ﴿إِنِّي أَتُؤْنِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾^(١) أهـ.

ويقول : صاحب "في ظلال القرآن" إنها امرأة أحببت ، امرأة تُكِرُّ الرجل الذي تعلقت به في جاهليتها وإسلامها ، فهي لا تملك إلا أن تظل معلقة بكلمة منه ، أو خاطرة ارتياح تحس أنها صدرت عنه : ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهُ بِالْغَيْبِ﴾ ذلك حرصها على أن يحترمها الرجل المؤمن الذي لم يعبأ بفتنتها الجسدية أن يحترمها تقديراً لإيمانها ولصدقها وأمانتها في عفة عند غيبته تلك المحاولة والعودة إلى الفضيلة التي يجدها يوسف ويقدرها . ثم تخلى في هذه المشاعر الطيبة ﴿وَمَا أَبْرَئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَامَارَهُ بِالسُّوءِ إِلَّا مَارِحَمَ رَبِّي﴾^(٢) .

على خزائن الأرض : -

لما ظهرت براءة يوسف للملك بهذه الصورة الواضحة والبرهان القاطع ، قال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي ، وحينئذ رأى يوسف أنه لا علة له ، فجاء إلى الملك وكلمه ، فانشرح صدر الملك له وأعجبه عقله وحسن تعبيره للرؤيا ، وسأله عن العمل الذي يرتضيه لنفسه ويكون فيه راحته وهدوء باله وانشراح صدره فقال يوسف : ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾^(٣) وما يخرج منها من الغلات والخيرات ﴿إِنَّ حَفِظَ عَلِيمٌ﴾ وقبل الملك عرضه ، فاستوزره وبذلك أنعم الله على يوسف نعمة جليلة فجعل له سلطاناً وقدرة في أرض مصر - ينزل منها بأى مكان يريد وهذا شأن الله في

(١) الآية ٥٤ يوسف . (٢) في ظلال القرآن ج ٤ ص ١٩٩٥ - ١٩٩٦ .

(٣) ٥٥ يوسف .

عبدة يهب نعمته لمن يختاره منهم ويجازيهم على الإحسان في الدنيا
وثواب الآخرة أفضل وأوفى .

مع الإمام فخر الدين الرازى : - يقول الإمام :

روى أنّ الرسول قال ليوسف عليه السلام : قم إلى الملك
متتنظفاً من درن السجن بالثياب النظيفة والهيئة الحسنة فكتب على
باب السجن "هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وشماتة الأعداء
وتجربة الأصدقاء" وما دخل عليه قال : (اللهم إني أسألك بخيرك من
خيره وأعوذ بعذرك وقدرتك من شره) ثم دخل وسلم وانفرد به
الملك وسهل الله ليوسف المنزلة وجلس على السرير ولبس الخاتم
ورفض التاج لأنّه لا يرتديه الأنبياء وعزل الملك العزيز إلى أن مات
وتزوج يوسف امرأته وقال لها : - "أليس هذا خيراً مما طلبت"
وولدت له ولدين وأقام العدل وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس
ورد الأملاك لأهل مصر هكذا رواه صاحب الكشاف . والله أعلم .
ونتساءل :

السؤال الثالثون : - لم طلب يوسف الإمارة والنبي عليه السلام قال
لعبد الرحمن بن سمرة "لا تسأل الإمارة" ^(١) ؟ وأيضاً فكيف طلب
الإمارة من كافر ؟ وأيضاً لم يصبر مدة ؟ ولم أظهر الرغبة في طلب
الإمارة في الحال ؟ وأيضاً طلب أمر الخزائن في أول الأمر مع أنّ هذا
يورث نوع تهمة ؟ وأيضاً كيف جوز من نفسه مدح نفسه مع أنه
تعالى يقول : ﴿فَلَا تُزَكِّوْا أَنفُسَكُم﴾ ^(٢) وأيضاً فيها الفائدة في قوله

(١) رواه البخاري في كتاب الأحكام باب من لم يسأل الإمارة أعاذه الله ومن سأله الإمارة
وكل إليها ٤/٢٣٤ . وفي كتاب الأيمان والندور . باب قول الله تعالى ﴿لَا يؤاخذكم
الله باللغو في أيانكم﴾ ٤/١٤٧ . وفي الكفارات . باب الكفاراة قبل الحث
وبعده ٤/١٦٣ . ومسلم في الإمارة . باب النبي عن طلب الإمارة والحرص عليها
حديث ١٣ . وفي الأيمان . باب ندب من حلف بعينا حديث ١٩ كما رواه أبو
داود والترمذى والنسائى والدارمى وأحمد بن حنبل . (٢) ٣٢ النجم .

﴿إِنْ حَفِظْ عَلَيْمُ﴾ وأيضا لم ترك الاستثناء في هذا فإن الأحسن أن يقول : إن حفيظ عليم إن شاء الله بدليل قوله تعالى ﴿وَلَا تَقُولَنَ لِشَئٍ إِنْ فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدَأً أَنْ يَشَاءَ اللَّه﴾^(١) فهذه أسئلة سبعة لابد من جوابها . فنقول الأصل في جواب هذه المسائل أن التصرف في أمور الخلق كان واجبا عليه فجاز له أن يتوصل إليه بأى طريق كان إنما قلنا : إن ذلك التصرف كان واجبا عليه لوجوه :

الأول : أنه كان رسولا حقا من الله تعالى إلى الخلق ، والرسول يجب عليه رعاية مصالح الأمة بقدر الإمكان .

والثاني : وهو أنه عليه السلام علم بالوحى أنه سيحصل القحط والضيق الشديد الذى ربما أفضى إلى هلاك الخلق العظيم فلعله تعالى أمره بأن يدبى في ذلك ويأتى بطريق لأجله يقل ضرر ذلك القحط في حق الخلق

والثالث : أن السعى في إيصال النفع إلى المستحقين ودفع الضرر عنهم أمر مستحسن في العقول .

وإذ ثبت هذا فنقول : إنه عليه السلام كان مكلفا برعاية مصالح الخلق من هذه الوجوه ، وما كان يمكنه رعايتها إلا بهذا الطريق ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، فكان هذا الطريق واجبا عليه ، ولما كان واجبا سقطت الأسئلة بالكلية وأما ترك الاستثناء فقال الوحدى : كان ذلك من خطيئة ، أو جبت عقوبة وهى : أنه تعالى أخر عنه حصول ذلك المقصود سنة روى ابن عباس رضى الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال "رحم الله أخي يوسف لوم يقل اجعلنى على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته لكنه لما قال ذلك أخره عنه سنة"^(٢) وهذا يدل على أن ترك التصرف والتغويض بالكلية إلى الله تعالى أولى .

(١) ٢٣ ، ٢٤ الكهف .

(٢) انظر تفسير الفخر الرازى ١٦٤/١٨ .

وأقول^(١) : لعل السبب فيه أنه لو ذكر هذا الاستثناء . لاعتقد فيه الملك أنه إنما ذكره لعلمه بأنه لا قدرة له على ضبط هذه المصلحة كما ينبغي فلأجل هذا المعنى ترك الاستثناء ، وأما قوله : لم مدح نفسه فجوابه من وجوه :

الأول لانسلم أنه مدح نفسه لكنه بين كونه موصوفاً بهاتين الصفتين النافعتين في حصول هذا المطلوب وبين البابين فرق وكأنه قد غلب على ظنه أنه يحتاج إلى ذكر هذا الوصف لأن الملك وإن علم كماله في علوم الدين لكنه ما كان عالماً بأنه يفني بهذا الأمر ، ثم نقول : هب أنه مدح نفسه إلا أن مدح النفس إنما يكون مذموماً إذا قصد الرجل به التطاول والتفاخر والتوصل إلى غير ما يحل فأماماً على غير هذا الوجه فلا نسلم أنه محروم فقوله تعالى ﴿فَلَا تُزَكِّوْا أَنفُسَكُمْ﴾ المراد منه تزكية النفس حال ما علم كونها غير متزكية والدليل عليه قوله تعالى ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾^(٢) أما إذا كان الإنسان عالماً بأنه صدق وحق فهذا غير من نوع منه والله أعلم .

قوله ما الفائدة في وصفه نفسه بأنه حفيظ عليم ؟ قلنا : إنه جار مجرى أن يقول : حفيظ بجميع الوجوه التي منها يمكن تحصيل الدخل والمال ، عليم بالجهات التي تصلح لأن يصرف المال إليها ، ويقال : حفيظ بجميع مصالح الناس عليم بجهات حاجاتهم أو يقال : حفيظ لوجوه أيديك وكرمك ، عليم بوجوب مقابلتها بالطاعة والخضوع وهذا باب واسع يمكن تكثيره لمن أراده .

المسألة الخامسة عشرة : - ﴿وَكَذَلِكَ مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣) أعلم أن يوسف عليه السلام لما التمس من الملك أن

(١) أى الفخر الرازي .

(٢) ٣٢ النجم .

(٣) ٥٦ - يوسف .

يجعله على خزائن الأرض لم يحك الله عن الملك أنه قال : قد فعلت ، بل الله سبحانه قال ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ فها هنا المفسرون قالوا في الكلام مخدوف وتقديره : قال الملك قد فعلت ، إلا أن تمكين الله له في الأرض يدل على أن الملك قد أجا به إلى ما سأله وأقول : ما قالوه حسن إلا أن ها هنا ما هو أحسن منه وهو أن إجابة الملك له سبب في عالم الظاهر . وأما المؤثر الحقيقي فليس إلا أنه تعالى مكنه في الأرض وذلك لأن ذلك الملك كان متمنكا من القبول ومن الرد ، فنسبة قدرته إلى القبول وإلى الرد على التساوى ، ومادام يبقى هذا التساوى فلا بد وأن يتراجع القبول على الرد في خاطر ذلك الملك وذلك التراجع لا يكون إلا برجوع يخلقه الله تعالى ، وإذا خلق الله تعالى ذلك المرجع حصل القبول لا محالة ، فالتمكين ليوسف في الأرض ليس إلا من خلق الله تعالى في قلب ذلك الملك بمجموع القدرة والداعية الجازمة اللتين عند حصوتها يجب الأثر فلهذا السبب ترك الله تعالى ذكر إجابة الملك ، واقتصر على ذكر التمكين الإلهي لأن المؤثر الحقيقي ليس إلا هو .

المقالة السادسة عشرة : ﴿ وَلَا جُرْأٌ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾^(١) في تفسير هذه الآية قوله :

القول الأول : -- المراد منه أن يوسف عليه السلام وإن كان قد وصل إلى المنازل العالية والدرجات الرفيعة في الدنيا إلا أن الثواب الذي أعده الله له في الآخرة خير وأفضل وأكمل ، وجهات الترجيح قد ذكرت مرارا وأطوارا وحاصل تلك الوجوه أن الخير المطلق هو الذي يكون نفعا دائمًا مقروناً بالتعظيم ، وكل هذه القيود الأربع حاصلة في خيرات الآخرة ومفقودة في خيرات الدنيا .

(١) ٥٧ - يوسف

القول الثاني : - أن لفظ الخير قد يستعمل لكون أحد الخيرين أفضل من الآخر كما يقال الجلاب خير من الماء ، وقد يستعمل لبيان كونه في نفسه خيراً من غير أن يكون المراد منه بيان التفضيل كما يقال . الشريد خير من الله . يعني الشريد خير من الخيرات حصل بإحسان من الله .

إذا ثبت هذا فقوله ﴿ وَلَا جُرْحٌ الْآخِرَةُ خَيْرٌ ﴾ إن حملناه على الوجه الأول لزم أن تكون ملاذ الدنيا موصوفة بالخيرية أيضاً ، وأما إن حملناه على الوجه الثاني لزم أن لا يقال إن منافع الدنيا أيضاً خيرات . بل لعله يفيد أن خير الآخرة هو الخير ، وأما ما سواه فعبث .

المسألة السابعة عشرة : - ﴿ بَلْ سَوْلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَرُ جَيْلٌ ﴾^(۱) قال بعضهم ليس المراد منه هنا الكذب والاحتيال كما في قوله في واقعة يوسف حين قال ﴿ بَلْ سَوْلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ لكنه عنى سولت لكم أنفسكم إخراج بنiamين عنى والمصير به إلى مصر طلباً للمنفعة فعاد من ذلك شر وضرر وألحتم على في إرساله معكم ولم تعلموا أن قضاء الله إنما جاء على خلاف تقديركم وقيل : بل المعنى سولت لكم أنفسكم أمراً خيلت لكم أنفسكم أنه سرق وما سرق .

وبهذا علم أن يعقوب عليه السلام لما سمع من أبنائه هذا الكلام لم يصدقهم فيما ذكروا كما في واقعة يوسف فقال ﴿ بَلْ سَوْلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾^(۲) فذكر هذا الكلام بعينه في هذه الواقعة إلا

(۱) (۲) ۸۳ - سورة يوسف .

أنه قال في واقعة يوسف عليه السلام «وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ»^(١) وقال لها هنا «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ»^(٢).

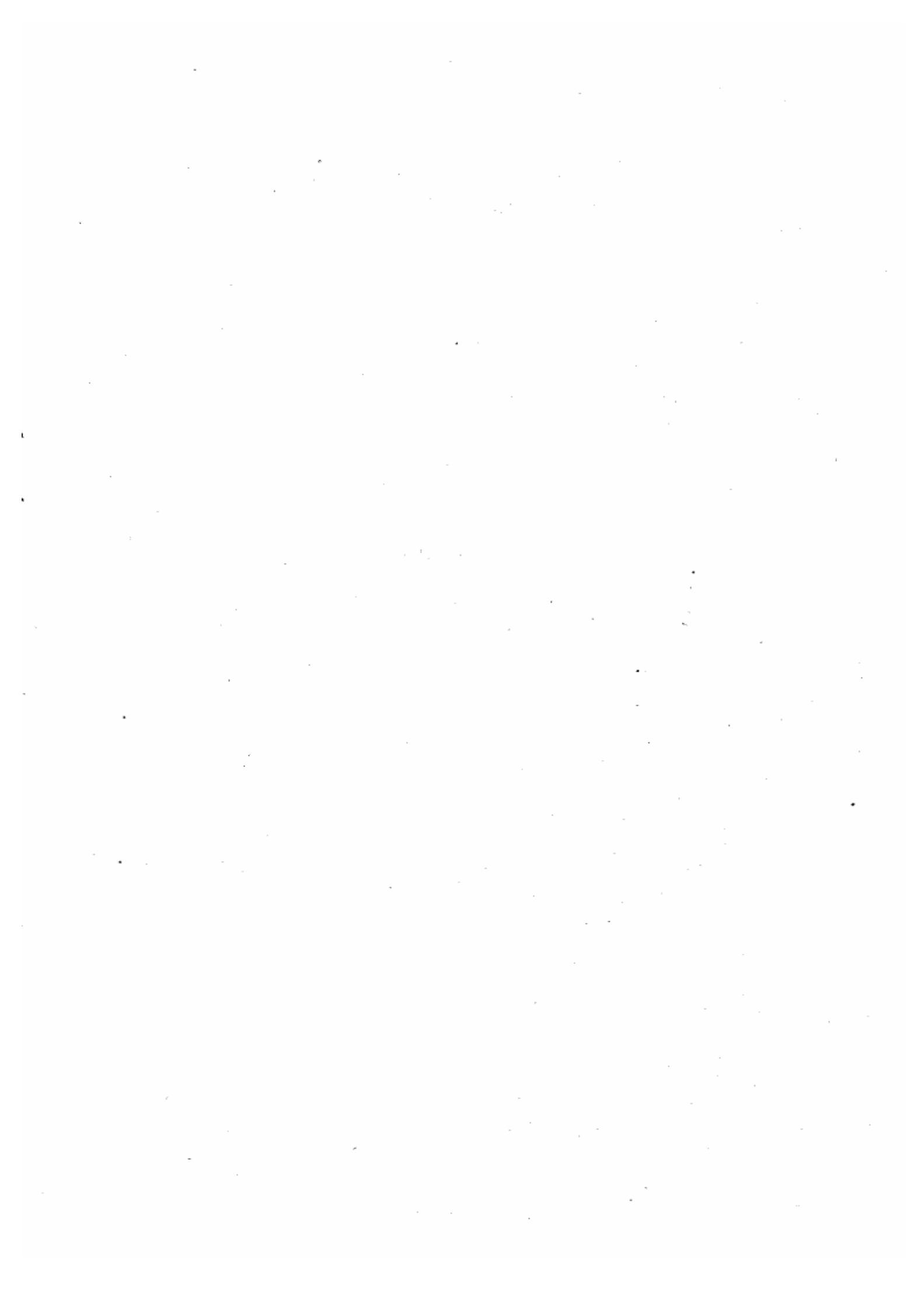


(١) ١٨ - يوسف (٢) ٨٣ - يوسف

الفصل الرابع

عفو وإحسان

- ١ - إخوة يوسف في مصر لشراء القوت
- ٢ - لقاء الشقيقين يوسف وبنiamين
- ٣ - عفو أخوى ولقاء أسترى
- ٤ - سؤالات وأجوبة
- ٥ - مسائل في التفسير



إخوة يوسف في مصر لشراء القوت :-

مرت السنوات السبع ذات الخصب ، وأعد يوسف العدة وخرن الغلات ثم جاءت السنوات المجدبة واشتد الجدب في كل أنحاء وجهات الأرض ، أما المصريون فذهبوا إلى ملكهم الذي بعث بهم إلى يوسف عليه السلام ففتح المخازن وباع لهم من الطعام ما يكفيهم وأحس أهل فلسطين الجوع فذهبوا إلى مصر وذهب أبناء يعقوب ومعهم الإبل والحمير لحمل الطعام بعد شرائه .

فلما وصلوا رأهم يوسف فعرفتهم ولم يعرفوه لأنه ناهز الأربعين من عمره ، وأصبح في مكان مهاب . أما هم فعل حا لهم من ملبس ولغة ومنظر لما جهزهم بما اشتروا من طعام طلب منهم أن يحضروا أخا لهم من أبيهم إن هم عادوا وإلا فلا كيل لكم عندي ولا تأتوا إلى وذلك لأنه لم ير أخيه بنiamين معهم وهو أصغر منه فأخذ يستدرجهم إلى أن عرف أنه حى وأنه عند أبيه فأعطاهم الطعام بلا ثمن في الواقع ليأتوه بأخيه دون أن يعلموا أنه رد عليهم الشمن فقالوا له : سنراود عنه أباه وكان يوسف قد أكرمهم وأظهر لهم السماحة وقال لفتیانه اجعلوا بضاعتهم التي دفعوها ثمنا للطعام في أوعيتهم فإنهم يعودون بها إلينا لأنهم لا يقبلون ماليس لهم وقد جعل يوسف ذلك شركا لهم ليعودوا إليه بأخيهم ليراه ويستبقيه معه وصدق الله ﴿لَتَبْتَهِنُّهُ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(١)

مع الإمام الرazi :- يستوقفنا الإمام الرازى لتساءل في هذا الموقف حيث الخوف وشدة الحاجة منهم ومهابة الملك عليه

السؤال الحادى والثلاثون :

هناك مقدمات كانت سببا لسؤال يوسف عن حال أخيهم وطلب حضوره فيها تلك المقدمات ؟

(١) الآية ١٥ - يوسف

الجواب : ذكروا فيه وجوها : -
 الوجه الأول . وهو أحسنها إن عادة يوسف عليه السلام
 مع الكل أن يعطيه حمل بغير لا يزيد عليه ولا ينقص وإخوة يوسف
 الذين ذهبوا إليه كانوا عشرة فأعطاهم عشرة أحمال فقالوا إن لنا أبا
 شيخاً كبيراً وأخاً آخر بقى معه لخدمته ولابد لها أيضاً من شيء من
 الطعام فجهز لها أيضاً بعيرين آخرين من الطعام فلما ذكروا ذلك قال
 يوسف فهذا يدل على أن حب أبيكم له أزيد من حبه لكم وهذا شيء
 عجيب لأنكم مع جمالكم وعقلكم وأدبكم إذا كانت محبة أبيكم
 لذلك الأخ أكثر من محبته لكم دل هذا على أن ذلك أujeوبة في العقل
 وفي الفضل والأدب فجيئون به حتى أراه . فهذا السبب متحمل
 مناسب .

والوجه الثاني : - أنهم لما دخلوا عليه وأعطاهم الطعام قال لهم : من
 أنتم ؟ قالوا :

نحن قوم رعاة من أهل الشام أصحابنا الجهد فجئنا نمتار^(١) فقال :
 لعلكم جئتم علينا فقلوا معاذ الله نحن إخوة بنو أب واحد شيخ
 صديق نبى اسمه "يعقوب" : قال : كم أنتم قالوا كنا اثنى عشر
 فهلك منا واحد وبقى واحد مع الأب يتسلى به عن ذلك الذي هلك
 ونحن عشرة وقد جئناك قال : فدعوا بعضكم عندى رهينة وائتوف
 بأب لكم من أبيكم ليبلغ إلى رسالة أبيكم فعند هذا أقرعوا بينهم
 فأصابت القرعة (شمعون) وكان أحسنهم رأياً في يوسف فخلفوه
 عنده .

الوجه الثالث : لعلهم لما ذكروا أباهم قال يوسف : فلم تركتموه
 وحيداً فريداً ؟ قالوا ماتر堪اه وحيداً بل بقى عنده واحداً فقال لهم لم
 استخلصه لنفسه ولم خصه بهذا المعنى لأجل نقص في جسده ؟
 فقالوا : لا بل لأجل أنه يحبه أكثر من محبته لسائر الأولاد فعند هذا

(١) يقال ماره يميره ميرا : إذا أتاه بميرة أى بطعم .

قال يوسف لما ذكرتم أن أباكم رجل عالم حكيم بعيد عن المجازفة ثم إنه خصه بمزيد المحبة وجب أن يكون زائدا عليكم في الفضل وصفات الكمال مع أن أراكم فضلاء علماء حكماء فاشتاقت نفسي إلى رؤية ذلك الأخ فائتوف به والسبب الثاني ذكره المفسرون والأول والثالث محتمل والله أعلم .

السؤال الثاني والثلاثون :- ما السبب الذي لأجله أمر يوسف بوضع بضاعتهم في رحاهم ؟

الجواب :- اختلفوا في السبب على وجوه :-

الأول :- أنهم متى فتحوا المخازن فوجدوا بضاعتهم فيه علموا أن ذلك كان كرما من يوسف وسخاء محضا فيبعثهم ذلك على العود إليه والحرص على معاملته .

الثاني : خاف أن لا يكون عند أبيه من المال ما يرجعون به مرة أخرى

الثالث : أراد به التوسيع على أبيه لأن الزمان كان زمان القحط

الرابع : رأى أنأخذ ثمن الطعام من أبيه وإخوته مع شدة حاجتهم إلى الطعام لؤم .

الخامس : قال الفراء إنهم متى شاهدوا بضاعتهم في رحاهم وقع في قلوبهم أنهم وضعوا تلك البضاعة في رحاهم على سبيل السهو وهم أنبياء أولاد أنبياء فرجعوا ليعرفوا السبب فيه .

السادس : أراد أن يحسن إليهم على وجه لا يلحقهم به عيب ولا منة

السابع : مقصوده أن يعرفوا أنه لا يطلب ذلك الأخ لأجل الإيذاء والظلم ولا لطلب زيادة في الثمن .

الثامن : أراد أن يعرف أبوه أنه أكرمهم وطلبه له لمزيد الإكرام فلا يثقل على أبيه إرسال أخيه

التاسع : أراد أن يكون ذلك المال معونة لهم على شدة الزمان وكان يخاف اللصوص من قطع الطريق فوضع تلك الدرارهم في رحاهم حتى تبقى مخفية إلى أن يصلوا إلى أبيهم

العاشر : أراد أن يقابل مبالغتهم في الإساءة ببالغة في الإحسان
إليهم والآيات في هذا الموقف هي :

﴿ وَجَاءَ إِخْوَةً يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفُوهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ . وَلَا
جَهَزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُوْنِي بِأَخَّكُمْ لَكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفِ
الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزَلِينَ . إِنَّمَا لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كُيْلَ لَكُمْ عِنْدِي
وَلَا تَقْرَبُونَ قَالُوا سَنَرَأُوكُمْ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَا لَفَاعِلُونَ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوهُ
بِضَاعَتِهِمْ فِي رَحَابِهِمْ لِعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لِعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴾^(١) ،

لقاء الشقيقين يوسف وبنiamين :-

عاد إخوة يوسف إلى أبيهم وأخبروه أن « وزير التموين والتجارة »
رفض البيع لهم فيما بعد حتى يحضرموا إليه أخاهم لأبيهم حينذاك
تذكر يعقوب أمرهم مع يوسف وعاودته لوعته وقال لهم ﴿ هَلْ آمِنْتُكُمْ
عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْتَكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ ﴾ لكنهم فتحوا متابعهم فوجدوا فضتهم بحالها لم تمس فقالوا
يا أباانا مانبغى هذه بضاعتنا ردت إلينا فإذا سمحت لنا بأخيينا كان
ذلك خيرا نزداد الكيل ونلبى طلب الملك ، فسمح لهم بعدأخذ
العهد عليهم بياتيائه إليه إلا إذا غلبوا على أمرهم وأوصاهم لخوفه
عليهم من الحسد - أن يدخلوا من أبواب متفرقة ، وعاد الإخوة إلى
مصر تاركين أباهم وحيدا فريدا أمر يوسف بتجهيز إخوته فوضع لهم
فضتهم في طعامهم ووضعت الكأس التي كان يشرب بها الملك في
طعام الصغير - بنiamين - وتلك حيلة لإبقاءه معه - فلما ساروا غير
بعيد ناداهم وكيل يوسف موبخا على سرقتهم سقاية الملك فأظهروا
البراءة وقالوا من وجدت في رحله يؤخذ عبدا للملك فبدأ التفتيش
بأكابرهم وانتهى بأصغرهم حيث وجدت عند - بنiamين - فعادوا إلى
يوسف مستعطفين وطلبوه أن يأخذ أحدهم بدلا من بنiamين . فرفض

(١) ٦٢ - ٥٨ يوسف

وأميرهم بالعودة فقالوا في غيظ : « إن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخْ لَهُ مِنْ قَبْلٍ »^(١) فسكت يوسف ولم يظهرها لهم وقال لهم أنتم شر مكاناً من هذا السارق والله يعلم هذا الوصف الكاذب .

وكانوا يقصدون يوسف بذلك أن أمه ماتت فكفلته عمتها فلما أراد أبوه أن يأخذه منها رفضت لتعلقها به ثم صنعت تلك التهمة بأن ألسنته تحت ثيابه منطقة^{*} لإبراهيم كانت عندها . ثم أظهرت أنها سرقت وبحثت حتى أخرجتها من تحت ثيابه ، وطلبت بقائه عندها يخدمها مدة جزاء له بما صنع وبهذه الحيلة استيقته عندها وكف أبوه عن المطالبة^(٢) . عاد أخوه يوسف عدا أكبرهم الذي رفض العودة حتى يأذن له أبوه أو يحكم الله في شأنه وأما أصغرهم فهو المتهم بالسرقة وحينما وصلوا إلى أبيهم أخبروه بالأمر على حقيقته لكنه لم يقبل لأنهم دبروا ليوسف مكيدة من قبل فازداد الحزن حتى ابىست عيناه ، لكنه طلب منهم العودة إلى مصر لشراء طعام ولি�تحسروا أمر يوسف وأخيه ، ولا يأسوا من روح الله ، فإن ذلك من شأن الكفار ، فذهبوا كما أمرهم أبوهم ، حيث كان اللقاء بأبيهم . اقرءوا قوله تعالى (فَلَمَّا جَهَزُوهُمْ بِعِهَاظِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ . ثُمَّ أَذْنَ مُؤَذِّنَ أَيْتَهَا الْعِيرُ إِنْكُمْ لَسَارِقُونَ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِيدُونَ . قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلَمْ جَاءَ بِهِ حَلْ بَعِيرٌ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ . قَالُوا تَالَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنُّتُمْ رَعِيمٌ . قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي سَارِقِينَ . قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ فَبَدَا بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءَ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَذَنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيهِمْ »^(٣)

(١) الآية ٧٧ يوسف

★ منطقة : كساء يشبه القميص

(٢) هناك آراء بأنه سرق الأوثان من جده لأمه وكسراها أو سرق من أخيه واعطى الفقراء والمساكين

(٣) آية ٧٠ - ٧٦ يوسف

مع الإمام الرازى : - يستوقفنا الإمام الرازى ليقول : اعلم أن أبناء يعقوب لما عزموا على الخروج من مصر ، و كانوا موصوفين بالكمال والجمال وأبناء رجل واحد قال لهم : ﴿ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقةٍ ﴾^(١) قوله جمهور المفسرين أنه خاف من العين عليهم ولنا هاهنا مقامان :

(المقام الأول) إثبات أن العين حق والذى يدل عليه وجوه الأول : إطباقي المتقدمين من المفسرين على أن المراد من هذه الآية ذلك والثانى : ماروى أن رسول الله ﷺ . كان يعود الحسن والحسين فيقول : « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة » ويقول هكذا كان يعود إبراهيم اسماعيل وإسحق صلوات الله عليهم^(٢)

والثالث : ماروى عبادة بن الصامت قال : دخلت على رسول الله ﷺ في أول النهار فرأيته شديد الوجع ثم عدت إليه آخر النهار فرأيته معافى فقال « إن جبريل عليه السلام أتاك فرقان فقال » بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن كل عين وحاسد الله يشفيك . قال فأفقت »^(٣) .

(١) آية ٦٧ يوسف

(٢) رواه البخارى في كتاب بدء الخلق . باب يزقون : السُّلَانُ فِي الْمُشَى ٢ / ٢٣٩ . وأبو داود في كتاب السنة . باب في القرآن حديث ٤٧٣٧ - ٤ / ٤٣٥ . والترمذى في الطبع باب ماجاء في الرقية من العين وقال : حديث حسن صحيح ٨ / ٢١٥ . وابن ماجه في كتاب الطبع باب ماعوذ به النبي ﷺ وماعوذ به حديث ٣٥٢٥ - ٢ / ١١٦٤ ، ١١٦٥ . واحد في المسند ١ / ٢٣٦ ، ٢٧٠ .

(٣) رواه أحمد في المسند بلحظ « دخلت على رسول الله ﷺ أعوده وبه من الوجع ما يعلم الله تبارك وتعالى بشدة ثم دخلت عليه من العشى وقد برئه أحسن براء فقلت له : دخلت عليك غدوة وبك من الوجع ما يعلم الله بشدة ودخلت عليك العشية وقد برأت فقال : يابن الصامت إن جبريل عليه السلام رقان برقة برئت لا أعلمكما . قلت : بلى قال : بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من حسد كل حاسد وعين بسم الله يشفيك » . ٥ / ٣٢٣ .

والرابع : روى أن بنى جعفر بن أبي طالب غلمنا ب ايضا فقالت أسماء يا رسول الله إن العين إليهم سريعة فأسترقى لهم من العين قال لها نعم^(١)

والخامس : أنَّ رسول الله ﷺ قال لجارية في بيت أم سلمة زوج النبي ﷺ ، رأى بوجهها سفعة فقال : بها نظرة ، فاسترقوا لها»^(٢).

والسادس : قوله عليه السلام «العين حق ولو كان شيء يسبق القدر لسبقت العين القدر»^(٣)

والسابع : قالت عائشة رضي الله عنها «كان يؤمِّر العائن فيتوضاً ثم يغتسل منه المعين»^(٤).

المقام الثاني : في الكشف عن ماهيته فقد ذكروا فيه وجوهاً
الأول : قال الحافظ إنه يمتد من العين أجزاء فتصل بالشخص المستحسن فتؤثر فيه كتأثير اللسع والسم والنار وإن كان مخالفًا في جهة التأثير لهذه الأشياء .

الثاني : - قال أبو هاشم وأبو القاسم البلاخي ؛ إنه لا يمتنع أن تكون العين حقاً ويكون معناه أن صاحب العين إذا شاهد الشيء وأعجب

(١) رواه الترمذى بنحوه في الطب . باب ماجاء في الرقية من العين وقال : حديث حسن صحيح ٢١٤ / ٨ . وابن ماجه بنحوه في كتاب الطب . باب من استرقى من العين حديث (٣٥١) ١١٦٠ / ٢ وأحمد في المسند بنحوه ٤٣٨ / ٦ .

(٢) رواه مسلم في كتاب السلام . باب استحباب الرقية من العين والتسللة والحمى والنظرة حديث ٥٩ و البخارى بنحوه في الطب . باب رقيق العين . ٤ / ١٦ . والسفعة : الصفرة أو السواد في الوجه .

(٣) رواه الترمذى في الطب باب ماجاء في الرقية من العين بلطف «فإنه لو كان شيء سابق القدر لسبقه العين ٨ / ٢١٤ . وباب ماجاء أن العين حق والغسل لها بلطف «لو كان شيء سابق القدر لسبقه العين وإذا استغسلتم فاغسلوا» ٨ / ٢١٦ . وابن ماجه في كتاب الطب باب العين بلطف «العين حق» ولطف «استعيذوا بالله فإن العين حق» حديث ٣٥٠٦ ، ٣٥٠٧ ، ٣٥٠٨ ، ٣٥١٠ . وباب من استرقى من العين بلطف . «فلو كان شيء سابق القدر ، سبقته العين» حديث ٣٥١٠ .

(٤) رواه أبو داود في كتاب الطب . باب ماجاء في العين حديث ٣٨٨٠ . ٩ / ٤ .

به استحسانا كان المصلحة له في تكليفه أن يغير الله ذلك الشخص وذلك حتى لا يبقى ذلك المكلف متعلقا به .

الوجه الثالث : وهو قول الحكاء قالوا هذا الكلام مبني على مقدمة وهي أنه ليس من شرط المؤثر أن يكون تأثيره بحسب هذه الكيفيات المحسوسة أعني الحرارة والبرودة والرطوبة والبسوسة بل قد يكون التأثير نفسانيا محضا ولا يكون للقوى بها تعلق ١- هـ مختصرا .

السؤال الثالث والثلاثون : - فإن قيل كيف السبيل إلى الجمع بين « لَا تَدْخُلُوا » . « وَمَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ » .

والجواب : أن الإنسان مأمور بأن يراعى الأسباب المعتبرة في هذا العالم ومأمور أيضا بأن يعتقد ويجزم بأنه لا يصل إليه إلا ما قدره الله تعالى وأن الخدر لا ينجي من القدر لكن لابد من اقامة الطاعات والاحتراز عن المعاصي والسيئات فكذا نأكل ونشرب ونحتذر عن السموم وعن الدخول في النار مع أن الموت والحياة لا يحصلان إلا بتقدير الله تعالى « إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوْكِيدُهُ وَعَلَيْهِ فَلِيَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ »^(١) .

ولذا صدقه الله في ذلك « إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبُ قَضَاهَا »^(٢) .

السؤال الرابع والثلاثون : - فإن قيل هل كان ذلك النداء (أيتها العيير) بأمر يوسف أو ما كان بأمره ؟ فإن كان بأمره فكيف يليق بالرسول الحق من عند الله أن يتهم أقواما وينسبهم إلى السرقة كذبا وبهتانا . وإن كان الثاني وهو أنه ما كان ذلك بأمره فهلا أنكره وهلا أظهر براءتهم عن تلك التهمة ؟

(١) آية ٦٧ يوسف (٢) آية ٦٨ يوسف

قلنا^(١) : العلماء ذكروا في الجواب عنه وجوها :

الأول : أنه عليه السلام لما أظهر لأخيه أنه يوسف قال له : إني أريد أن أحبسك هنا . ولا سبيل إليه إلا بهذه الحيلة فإن رضيت بها فالأمر لك فرضي بأن يقال في حقه ذلك وعلى هذا التقدير لم يتأن قلبه بسبب هذا الكلام فخرج عن كونه ذنبا .

والثاني : أن المراد إنكم لسارقون يوسف من أبيه إلا أنهم ما أظهروا هذا الكلام والمعاريض لا تكون إلا كذلك .

والثالث : أن ذلك المؤذن ربما ذكر ذلك النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير يخرج أن يكون كذبا .

الرابع : ليس في القرآن أنهم نادوا بذلك النداء عن أمر يوسف عليه السلام والأقرب إلى ظاهر الحال أنهم فعلوا ذلك من أنفسهم لأنهم لما طلبوا السقاية وما وجدوها وما كان هناك أحد إلاهم غالب على ظنهم أنهم هم الذين أخذوها .

السؤال الخامس والثلاثون : - فإن قيل في قوله ﴿وَلَمْ جَاءِهِ حِلْ بَعِيرٍ﴾^(٢) هذه كفالة بشيء مجهول ؟

قلنا حمل بغير من الطعام كان معلوماً عندهم فصحت الكفالة به إلا أن هذه كفالة مال لرد سرقة . وهو كفالة بالمال يجب لأنه لا يحمل للسارق أن يأخذ شيئاً على رد السرقة ولعل مثل هذه الكفالة كانت تصح عندهم .

السؤال السادس والثلاثون : - فإن قيل لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنه ؟

قلنا : قالوا : رجع ضمير المؤنث إلى السقاية وضمير المذكر إلى الصواع (المكيال) أو يقال الصواع يؤنث ويدرك فكل واحد منها جائز أو يقال : لعل يوسف كان يسميه سقاية وعيده يسمونه صواعا^(٣) .

(١) كان يشرب فيه ثم استخدم مكيالا

(٢) أي الفخر الرازي .

(٣) يوسف ٧٢

السؤال السابع والثلاثون : - فإن قيل هذه الواقعة من أوها إلى آخرها تزوير وكذب فكيف يجوز من يوسف عليه السلام مع رسالته الإقدام على هذا التزوير والترويج وإيذاء الناس من غير سبب لاسيما وهو يعلم أنه إذا حبس أخاه عند نفسه بهذه التهمة فإنه يعظم حزن أبيه ويشتد غمه فكيف يليق بالرسول الموصوم المبالغة في التزوير إلى هذا الحد؟ **والجواب :** لعله تعالى أمره بذلك تشديداً للمحنـة على يعقوب ونها عن العفو والصفح وأخذ البدل كما أمر تعالى صاحب موسى بقتل من لوبيـى لطـى وـكـفـرـ.

السؤال الثامن والثلاثون : - فإن قيل : كيف حكموا عليه بأنه سرق من غير بينة . لاسيما وقد أجاب بالجواب الشافـى ، فقال الذى جعل الصواع فى رحلـى هو الذى جعل البضـاعة فى رحلـكـ . **والجواب عنه من وجوهـ :**

الوجه الأول : أنهم شاهدوا أن الصواع كان موضوعاً في موضع مكان يدخله أحد إلاهم فلما شاهدوا أنهم أخرجوا الصواع من رحلـه غالبـ على ظنـونـهمـ أنهـ هوـ الذـىـ أخذـ الصـوـاعـ وأـمـاـ قولـهـ : وضعـ الصـوـاعـ فيـ رـحـلـىـ منـ وـضـعـ البـضـاعـةـ فيـ رـحـلـكـ .. فالفرقـ ظـاهـرـ لأنـ هناكـ لـاـ رـجـعـواـ بـالـبـضـاعـةـ إـلـيـهـمـ اـعـتـرـفـواـ بـأـنـهـمـ هـمـ الـذـينـ وـضـعـوهـاـ فيـ رـحـلـهـمـ وأـمـاـ هـذـاـ الصـوـاعـ فـإـنـ أحـدـاـ لمـ يـعـتـرـفـ بـأـنـهـ هوـ الذـىـ وضعـ الصـوـاعـ فيـ رـحـلـهـ فـظـهـرـ الفـرقـ فـلـهـذـاـ السـبـبـ غـلـبـ علىـ ظـنـونـهمـ أـنـهـ سـرـقـ فـشـهـدـواـ بـنـاءـ عـلـىـ هـذـاـ الـظـنـ ثـمـ بـيـنـهـمـ غـيرـ قـاطـعـينـ بـهـذـاـ الـأـمـرـ بـقـوـهـمـ « وـمـاـ شـهـدـنـاـ إـلـاـ بـمـاـ عـلـمـنـاـ وـمـاـ كـنـاـ لـلـغـيـبـ حـافـظـيـنـ »^(١) .

والوجه الثاني : - في الجواب أن تقدير الكلام « إـنـ اـبـنـكـ سـرـقـ » في قول الملك وأصحابه ومثله في القرآن كثير « إـنـكـ لـأـنـتـ الـحـلـيمـ الرـشـيدـ »^(٢) أـيـ عـنـ نـفـسـكـ وـقـالـ تـعـالـىـ « ذـقـ إـنـكـ أـنـتـ الـعـزـيزـ الـكـرـيمـ »^(٣) أـيـ عـنـ نـفـسـكـ وـأـمـاـ عـنـدـنـاـ فـلـاـ فـكـذـاـ هـنـاـ .

(١) ٨١ - يوسف

(٢) ٨٧ - هود

(٣) ٤٩ - الدخان

الوجه الثالث : - في الجواب أن ابنك ظهر عليه ما يشبه السرقة ومثل هذا الشيء يسمى سرقة فإن إطلاق اسم أحد الشبيهين على الشبيه الآخر جائز في القرآن قال تعالى ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا ﴾⁽¹⁾

الوجه الرابع : أن القوم ما كانوا أنبياء في ذلك الوقت فلا يبعد أن يقال إنهم ذكروا هذا الكلام على سبيل المجازفة لآسيما وقد شاهدوا شيئاً يوهم ذلك .

الوجه الخامس : - أن ابن عباس رضي الله عنها كان يقرأ ﴿ إِنَّ أَبْنَكَ سَرَقَ ﴾ بالتشديد أي نسب إلى السرقة فهذه القراءة لا حاجة بها إلى التأويل لأن القوم نسبوه إلى السرقة إلا أن أمثال هذه القراءات لا تدفع السؤال لصحة القراءة الأولى .

فثبتت أنه لابد من الرجوع إلى أحد الوجوه المذكورة .
السؤال التاسع والثلاثون : - لماذا عظم حزنه على يوسف عندما غاب (بنيامين) ؟

والجواب : أن الحزن الجديد يقوى الحزن القديم الكامن والقدح إذا وقع على القدح كان أوجع والأسى يبعث الأسى ولأن يوسف وبنيامين كانوا من أم واحدة ، ولأن مصيبة يوسف كانت أصل مصائبه التي ترتب عليها سائر المصائب والرزایا وما كان يعلم أنه حي أو ميت فلهذا عظم حزنه على الجهل بحاله أما الباقيون فهم أحياء ومنهم - بنيامين .

السؤال الأربعون : - من الجھال من عاب يعقوب على قوله ﴿ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ ﴾⁽²⁾ لأن هذا إظهار للعجز وجار مجرى الشکایة من الله وأنه لا يجوز . فما الرد عليهم ؟

العلماء يبنوا أنه ليس الأمر كما ظنه هذا الجھال وتقريره أنه عليه السلام لم يذكر هذه الكلمة ، ثم عظم بكاؤه وهو المراد من قوله

(1) ٤٠ - الشورى

(2) ٨٤ - يوسف

﴿ وَابْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ ﴾ ثُمَّ أَمسَكَ لِسَانَهُ وَهُوَ الْمَرَادُ ﴿ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ ثُمَّ أَنْهَ مَا أَظْهَرَ الشَّكَايَةَ مَعَ أَحَدٍ مِّنَ الْخَلْقِ بَدْلِيلٍ قَوْلَهُ ﴿ إِنَّا أَشَكَّوْا بَشَّى وَحُزْنَى إِلَى اللَّهِ ﴾^(۱) وَكُلُّ ذَلِكَ يَدْلِلُ عَلَى أَنَّهُ لَا عَظَمَتْ مَصِيبَتِهِ وَقَوْيَتْ مَحْنَتِهِ فَإِنَّهُ صَرْ وَتَجْرِعُ الْغَصَّةَ فَلَا جُرمَ اسْتَوْجَبَ بِهِ الْمَدْحُ الْعَظِيمُ وَالثَّاءُ الْعَظِيمُ .

وَقَوْلُهُ ﴿ يَا أَسَفَى ﴾ نَدَاءُ الْأَسْفَ وَالتَّقْرِيرُ كَأَنَّهُ يَنْادِي الْأَسْفَ وَيَقُولُ هَذَا وَقْتُ حَصْولِكَ وَأَوَانِ مجِئِكَ .

وَالْأَسْفُ الْحَزْنُ عَلَى مَا فَاتَ قَالَ الْلَّيْلُ :

إِذَا جَاءَكَ أَمْرٌ فَحَزَنْتَ لَهُ وَلَمْ تَطْقُهُ فَأَنْتَ أَسِيفٌ أَيْ حَزِينٌ وَمُتَأْسِفٌ أَيْضًا وَحِينَذِ غَلَبَهُ البَكَاءُ وَعِنْدَ غَلْبَةِ البَكَاءِ يَكْثُرُ الْمَاءُ فِي الْعَيْنِ فَتَصِيرُ كَأَنَّهَا ابْيَضَتْ مِنْ بِيَاضِ ذَلِكَ الْمَاءِ وَلَذَا قِيلَ مَاعِنِي لِكُنَّهُ صَارَ بِحِيثِ يَدْرِكُ إِدْرَاكًا ضَعِيفًا . كَمَا أَنَّ الدَّوَاعِيَ الْإِنْسَانِيَّةَ لَا تَزُولُ فِي الْحَيَاةِ الْعَاجِلَةِ فَتَارَةً كَانَ يَقُولُ ﴿ يَا أَسَفَى ﴾ وَتَارَةً كَانَ يَقُولُ ﴿ فَصَرِّبْ جَمِيلَ ﴾ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ^(۲) وَلَا شَكَ أَنَّ يَعْقُوبَ كَانَ مِنْ أَكَابِرِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَكَانَ أَبُوهُ وَجْدَهُ وَعُمَّهُ كُلُّهُمْ مِنْ أَكَابِرِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُشْهُورِينَ فِي جَمِيعِ الدُّنْيَا . بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

عَفْوُ أَخْوَى وَلِقاءُ أَسْرِى : -

جَاءَ إِخْرَوْهُ يُوسُفَ وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَتَصَدَّقَ عَلَيْهِمْ بِإِطْلَاقِ أَخِيهِمْ مِنَ الْعَبُودِيَّةِ بَعْدَ وَفَاءِ الْكَيْلِ لَأَنَّ بِضَاعَتْهُمْ قَلِيلَةٌ وَإِنْ كَانَ الثَّمَنُ لَا يَوْجِبُ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُمْ يُوسُفُ مَذْكُورًا بِمَا كَانَ مِنْهُمْ ﴿ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذَا أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾^(۳) فَعَرَفُوا أَنَّهُ يُوسُفَ لِذَلِكَ قَالُوا أَتَنْكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَقَوَّلُ وَيَصِيرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . قَالُوا تَالَّهُ لَقَدْ أَثْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ

(۱) يُوسُفَ - ۸۶

(۲) يُوسُفَ - ۱۸

يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه أبي يأت بصيراً وأتوفى بأهلكم جميعين ﴿١﴾ فلما فصلت عيرهم من مصر كانت نفس يعقوب تنتظر تغير الحال وتوقع الفرج بلقاء يوسف ولذا قال لهم ﴿إِنَّ لِأَجْدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفْنِدُونَ﴾ ﴿٢﴾ .

فردوا عليه قائلين ﴿تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ ﴿٣﴾ ولم يطل وقت الانتظار وإذا بال بشير يأتي بسلامة يوسف وبنiamin ويلقى القميص على وجه الأب الكريم فقرت عينه وذهب ما على بصره ثم قال ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّ أَعْلَمُ مَنِ اللَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤﴾ إنه إيحاء من الله شدوا رحالهم إلى مصر فلما وصلوا دخلوا على يوسف فأوى إليه أبويه يعقوب وزوجه (خالة يوسف) وسجد الجميع ليوسف وتلك تأويل رؤياه من قبل لأن رؤيا الأنبياء حق وهذا هو بعد السجن بيده الخل والعقد والأمر والنوى ، وها هي الأسرة مجتمع شملها بعد صنيع الشيطان بينها ، ولكن لطف الله تداركها لأنه عليم حكيم بكل شيء في هذا الموقف العظيم والعفو الكريم بعدها حدث ليوسف الأمين وهو متمسك بدينه وشرفه وكرامته ووفائه ودأبه على الدعاء إلى الله فخروجه من السجن والثبات الشامل كل ذلك جعله يسجد لله شakra معلنا نعمته عليه داعيا أن يتولاه في الدنيا والآخرة ، وأن يتوفاه مسلما غير عاص ولا آثم وأن يلحقه بالصالحين من آباء الأنبياء .

﴿رَبَّ قَدْ أَتَيْتَنِي مَنِ الْمُلْكِ وَعَلِمْتَنِي مَنْ تَأْوِيلُ الْأَحَادِيثِ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي

بالصالحين ﴿٥﴾

(١) ٩٣ يوسف (٤) ٩٤ يوسف

(٢) ٩٥ يوسف (٤) ٩٦ يوسف

(٥) الآية ١٠١ سورة يوسف

وفاته : -

قال المؤرخون : كان عمر يعقوب عندما التقى بابنه يوسف مائة وثلاثين سنة (١٣٠) ثم توفي يعقوب بعدها بسبعين سنة ، وعاش يوسف عليه السلام من السنين مائة وعشرا (١١٠) ومات في مصر ودفن بها وكان قد أوصى إخوته أن يحمل معهم إذا خرجوا من مصر فيدفنن مع آبائهم ، وقد نقل رفاته إلى الشام أيام موسى ودفن بنابلس على الأرجح وذلك قبل مولد موسى بأربع وستين سنة على الصحيح من الأقوال رحمه الله رحمة واسعة إنه سميع مجيب الدعاء^(١)

مع الإمام الرازى في مسك الختام : - قبل إخوة يوسف من أبيهم وصيته فعادوا إلى مصر ودخلوا على يوسف فقالوا له ﴿ يَا أَيَّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ ﴾ وهذا يأتى التساؤل :

السؤال الحادى والأربعون : - إذا كان يعقوب أمرهم أن يتحسسوه أمر يوسف وأخيه فلماذا عدلوا إلى الشكوى وطلبوه إيفاء الكيل ؟ قلنا : - لأن المحسسين يتولون إلى مطلوبهم بجميع الطرق والاعتراف بالعجز وضيق اليد ورقة الحال وقلة المال وشدة الحاجة مما يرقق القلب فقالوا نجربه في ذكر هذه الأمور فإن رق قلبه لنا ذكرنا المقصود وإلا سكتنا فلهذا السبب قدموا ذكر هذه الواقعه .

السؤال الثانى والأربعون : - من أين عرف أن إلقاء القميص على وجه يعقوب يوجب قوة البصر ؟

والجواب : ما قاله المحققون من أنه إنما عرف ذلك بوحى من الله تعالى ، ولو لا الوحى لما عرف ذلك ، لأن العقل لا يدل عليه وروى أن يهودا قال أنا أحزنته بحمل القميص الملطخ بالدم إليه فأفرجه كما أحزنته ..

(١) من كتاب النبوة والأنبياء / محمد على الصابونى ص ٢٥٩ طبعة دار الحديث

السؤال الثالث والأربعون : - كيف وصلت تلك الرائحة إلى يعقوب؟

اختلف في الجواب : فقال مجاهد : هبت ريح فصفقت القميص ففاحت رواحة الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة فعلم عليه السلام أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلّا ما كان من ذلك القميص فمن ثم قال ﴿إِنَّ لَأْجَدُ رِيحَ يُوسُف﴾

وروى الواحدى بإسناده عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . أنه قال : أما قوله ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَاءِ بَصِيرًا﴾^(١) فإن نزود الجبار لما ألقى إبراهيم في النار نزل عليه جبريل عليه السلام بقميص من الجنة وطنفسة^(٢) من الجنة فألبسه القميص وأجلسه على الطنفسة وقعد معه يحدّثه ، فكسا إبراهيم عليه السلام ذلك القميص إسحاق وكساه إسحاق يعقوب وكساه يعقوب يوسف فجعله في قصبة من فضة وعلقها في عنقه فألقى في الجب والقميص في عنقه فذلك قوله ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ والتحقيق أن يقال : إنه تعالى أوصل تلك الرائحة إليه على سبيل إظهار المعجزات والأقرب أنها معجزة ليعقوب . قال أهل المعان : إن الله تعالى أوصل إليه ريح يوسف عند انقضاء مدة المحنّة ومجيء وقت الروح والفرح من المكان بعيداً وذلك يدل على أن كل سهل فهو في زمان المحنّة صعب وكل صعب فهو في زمان الإقبال سهل .

السؤال الرابع والأربعون : - وعدهم يعقوب بالاستغفار فلماذا لم يستغفر لهم في الحال؟

الجواب : قال ابن عباس والأكثرؤن : أراد أن يستغفر لهم في وقت السحر ، لأن هذا الوقت أوفق الأوقات لرجاء الإجابة وفي رواية

١ - الآية ٩٣ يوسف

٢ - الطنفسة : البساط والجمع طنافس

أخرى أخر الاستغفار إلى ليلة الجمعة لأنها أوفى الأوقات للإجابة .
وقيل : أراد أن يعرف أنهم هل تابوا في الحقيقة أم لا ، وهل حصلت
توبتهم مقرونة بالإخلاص التام أم لا والأخير على أنه استغفر لهم في
الحال قوله ﴿سَاسْتَغْفِرُ لَكُم﴾ معناه : إن أداوم على هذا
الاستغفار في الزمان المستقبل .

السؤال الخامس والأربعون : - مامعنى دخولهم عليه قبل دخولهم
مصر ؟ قلنا : كأنه حين استقبلهم نزل بهم في بيت هناك أو خيمة
فدخلوا عليه وضم إليه أبويه وقال لهم ﴿أَدْخُلُوكُمْ مِصْرَ﴾^(١)
السؤال السادس والأربعون : - كيف استجاز يوسف أن يسجد له
يعقوب وهو أبوه والشاب يجب عليه تعظيم الشيخ ؟
والجواب عنه من وجوه :

الوجه الأول : - وهو قول ابن عباس في رواية عطاء أن المراد بهذه
الأية أنهم خروا له أى لأجل وجدانه سجداً لله تعالى فالسجود كان
سجوداً للشكير فالمسجد له هو الله والدليل على صحة هذا التأويل
أن قوله ﴿وَرَفَعَ أَبَوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرَا لَهُ سُجْدَة﴾^(٢) مشعر
 بأنهم صعدوا ذلك السرير ثم سجدوا له ، ولو أنهم سجدوا ليوسف
لسجدوا له قبل الصعود على السرير لأن ذلك أدخل في التواضع .
فإن قالوا : فهذا التأويل لا يطابق قوله ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايِ
مِنْ قَبْلِ﴾ والمراد منه قوله ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكِباً وَالشَّمْسَ
وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِين﴾ ؟ قلنا هذا مطابق ويكون المراد من
قوله ﴿وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِين﴾ لأجل أى أنها
سجدت لله لطلب مصلحتي وللسعي في إعلاء منصبي وإن كان هذا
محتملاً سقط السؤال

الوجه الثاني : - أن يقال : إنهم جعلوا يوسف كالقبلة وسجدوا لله

شكرا لنعمة وجدانه وهذا التأويل حسن يقال صلى للقبلة
الوجه الثالث : - قد يسمى التواضع سجودا والمراد بالخروف المرور
بدليل قوله تعالى ﴿لَمْ يَخْرُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمِيَّا﴾^(١)

الوجه الرابع : - أن نقول الضمير في ﴿خَرَّوا لَهُ﴾ غير عائد إلى
الأبوين بل إلى إخوته وإلى سائر من كان يدخل عليه لأجل التهنئة أما
هما فقد عظمهما بالرفع على العرش . ويكتفى في صحة الرؤيا ذهاب
يعقوب مع أولاده إلى مصر لأجل يوسف ففيه نهاية التعظيم له .
الوجه الخامس : - لعل الفعل الدال على التحية والإكرام في ذلك
الوقت هو السجود وهذا في غاية البعد لأن المبالغة في التعظيم كانت
أليق بيوسف منها بيعقوب .

الوجه السادس : - لعل إخوته حملتهم الأنفة والاستعلاء على أن لا
يسجدوا له على سبيل التواضع فخشى يعقوب من الفتنة ففعل ذلك
لنزول أنفة إخوته .

الوجه السابع : - لعل الله تعالى أمر يعقوب بتلك السجدة لحكمة
خفية لا يعرفها إلا هو كما أمر الملائكة بالسجود لحكمة لا يعرفها
إلا هو ، ويوسف ما كان راضيا بذلك في قلبه إلا أنه لما علم أن الله
أمره بذلك سكت .

السؤال السابع والأربعون : - ذكر إخراجه من السجن ولم يذكر
إخراجه من - البئر - فلماذا ؟
الجواب من وجوه : -

الأول : - أنه قال لإخوته ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيُومَ﴾^(٢) ولو ذكر
واقعة البئر لكان ذلك تشريبا لهم فكان إهماله جاريًا مجرى الكرم .
الثاني . أنه لما خرج من البئر لم يصر ملكا بل صيروه عبداً أما لما

خرج من السجن صبروه ملكا فكان هذا الإخراج أقرب من أن يكون إنعاما كاملا . الثالث : أنه لما خرج من البئر وقع في المضار الخاصله بسبب تهمة المرأة فلما أخرج من السجن وصل إلى أبيه وإخوته وزالت التهمة فكان هذا أقرب إلى المنفعة . الرابع : قال الواحدى النعمه فى إخراجه من السجن أعظم لأن دخوله فى السجن كان بسبب ذنب هم به ، وهذا ينبعى أن يحمل على ميل الطبع ورغبة النفس وهذا وإن كان فى محل العفو فى حق غيره إلا أنه ربما كان سببا للمؤاخذه فى حقه لأن حسنت الأبرار سيئات المقربين ^٤ .

السؤال الثامن والأربعون : - «تَوَفَّنِي مُسْلِماً»^(١) هل هو طلب منه للوفاة أم لا ؟

والجواب قال : قتادة سأله ربه اللحوظ به ، ولم يتمن نبى قط الموت قبله ، وكثير من المفسرين على هذا القول وفي رواية عطاء : ي يريد إذا توفيتني فتوفنى على دين الإسلام فهذا طلب لأن يجعل الله وفاته على الإسلام وليس فيه ما يدل على أنه طلب الوفاة .

السؤال التاسع والأربعون : - لقائل أن يقول : الأنبياء عليهم السلام يعلمون أنهم يموتون لا محالة على الإسلام فكان هذا الدعاء حاصله طلب تحصيل الحاصل وأنه لا يجوز ؟

والجواب : أحسن ما قيل فيه إنه كمال حال المسلم أن يستسلم لحكم الله تعالى على وجه يستقر قلبه على ذلك الإسلام ويرضى بقضاء الله وقدره ويكون مطمئن النفس منشرح الصدر منسع القلب في هذا الباب ، وهذه الحالة زائدة على الإسلام الذي هو ضد الكفر ، فالمطلوب هاهنا هو الإسلام بهذا المعنى .

السؤال الخامسون : - أن يوسف عليه السلام كان من أكابر الأنبياء عليهم السلام والصلاح أول درجات المؤمنين ، فالواصل إلى الغاية

كيف يليق به أن يطلب البداية؟

والجواب : قال ابن عباس رضى الله عنهم وغیره من المفسرين
يعنى بآبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب والمعنى الحقى بهم في ثوابهم
ومراتبهم ودرجاتهم وهاهنا مقام آخر من تفسير هذه الآية على لسان
أصحاب المكاففات ، وهو أن النفوس المفارقة إذا أشرقت بالأنوار
الإلهية واللواحم القدسية فإذا كانت متناسبة متشاكلة انعكس النور
الذى في كل واحدة منها إلى الأخرى بسبب تلك الملازمة والمجانسة ،
فتعظم تلك الأنوار وتقوى تلك الأضواء ومثال تلك الأحوال . المرأة
الصقيقة الصافية إذا وضعت وضعها متى أشرقت الشمس عليها
انعكس الضوء من كل واحدة منها إلى الأخرى فهناك يقوى الضوء
ويكمل النور ، وينتهي في الإشراق والبريق واللمعان إلى حد لا تطيقه
العيون والأبصار الضعيفة فكذا ها هنا .

المقالة الثامنة عشرة : - ﴿ قَالُوا تَالَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ . قَالَ لَا تُثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾^(١)

اعلم أن يوسف عليه السلام لما ذكر لإخوته أن الله تعالى من عليه
وأن من يتق المعاصي ويصبر على أذى الناس فإنه لا يضيعه الله
صدقه فيه ، واعترفوا له بالفضل والمزية ﴿ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ قال
الأصمى : يقال آثرك إيشاراً إلى فضلك الله والمعنى لقد فضلك الله
 علينا بالعلم والحلم والعقل والفضل والحسن والملك ، واحتج
بعضهم بهذه الآية على أن إخوته ما كانوا أنبياء لأن جميع المناصب
التي تكون معايرة لمنصب النبوة كالعدم بالنسبة إليه فلو شاركه في
منصب النبوة لما قالوا ﴿ تَالَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ وبهذا التقدير
يذهب سؤال من يقول لعل المراد كونه زائداً عليهم في الملك وأحوال

(١) الآية ٩١ - ٩٢ يوسف

الدنيا وإن شاركوه في النبوة لأننا بينما أن أحوال الدنيا لا يعبأ بها في جنب منصب النبوة . وأما قوله ﴿ وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ قيل الخاطئ هو الذي أق بالخطيئة عمداً وفرق بين الخاطئ والمخطيء فلهذا الفرق يقال ممن يجتهد في الأحكام فلا يصيب إنه مخطيء ولا يقال إنه خاطئ . وأكثر المفسرين على أن الذي اعتذروا منه هو إقدامهم على إلقاء في الجب وبيعه وتبعيده عن البيت والأب وقال أبو علي الجبائي : إنهم لم يعتذروا إليه من ذلك لأن ذلك وقع منهم قبل البلوغ فلا يكون ذنباً فلا يعتذر منه ، وإنما اعتذروا من حيث إنهم أخطأوا بعد ذلك بأن لم يظهروا لأبيهم ما فعلوا ، ليعلم أنه حي وأن الذئب لم يأكله وهذا الكلام ضعيف من وجوهه : -

الوجه الأول : - أنا بينما أنه لا يجوز أن يقال إنهم أقدموا على تلك الأعمال في زمن الصبا لأنه من بعيد في مثل يعقوب أن يبعث جماعاً من الصبيان غير البالغين من غير أن يبعث معهم رجلاً عاقلاً يمنعهم مما لا ينبغي ويحملهم على ما ينبغي .

الوجه الثاني : - هب أن الأمر على ما ذكره الجبائي إلا أنا نقول غاية ما في الباب أنه لا يجب الاعتذار عن ذلك إلا أنه يمكن أن يقال إنه يحسن الاعتذار عنه والدليل عليه أن المذنب إذا تاب زال عقابه ثم قد يعيد التوبة والاعتذار مرة أخرى ، فعلمنا أن الإنسان أيضاً قد يتوب عندما لا تكون التوبة واجبة عليه .

واعلم أنهم لما اعترفوا بفضله عليهم وبكونهم مجرمين خاطئين قال يوسف ﴿ لَا تُرِيبُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ وفيه بحثان

البحث الأول : - التثريب التوبيخ ومنه قوله عليه الصلاة والسلام "إذا زنت الأمة فتبين زناها فليجلدتها ولا يشرب^(١)" أى ولا يغيرها

(١) رواه البخاري في كتاب البيوع . باب بيع العبد الزاني ٢ / ١٨ . وفـ كتاب العتق بنحوه . باب كراهية التطاول الرقيق ٢ / ٨٤ . ومسلم بنحوه في كتاب الحدود حديث ٣٠ . ٣١ . ٣٢ . وأبي داود بنحوه في كتاب الحدود . باب في الأمة تزني ولم تحصن حديث ٤٤٦٩ . ٤٤٧٠ . ٤٤٧١ . ١٦١ . ١٦٠ . ٤ . والترمذى بنحوه في الحدود باب ماجاء في الرجم على التب ٦ / ٢٠٧ . ٢٠٨ . وأبن ماجه بنحوه في الحدود . باب إقامة الحدود على الإمام حديث ٢٥٦٥ . ٢٥٦٦ . ومالك في الموطأ بنحوه في كتاب الحدود . باب جامع ما جاء في حد الزنا حديث ١٤ . ٢ . ٨٢٦ .

بالزنا فقوله (لاتشريب) أى لاتوبخ ولا عيب وأصل التشريب من الترب وهو الشحم الذى هو غاشية الكرش ومعناه إزالة الترب كما أن التجليد إزالة الجلد قال عطاء الخراسان طلب الحوائج إلى الشباب أسهل منها إلى الشيرخ الاترى إلى قول يوسف لإخوته ﴿لَا تَشْرِيبَ عَلَيْكُم﴾ وقول يعقوب ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّ﴾

المبحث الثاني : - أن قوله اليوم إما متعلق بتشريب أى لا أثر بكم اليوم وهو اليوم الذى هو مظنة التشريب فما ظنكم بسائر الأيام وفيه احتمال آخر وهو أنى حكمت في هذا اليوم بـالاتشريب مطلقاً وإما متعلق اليوم يغفر الله لكم كأنه لما نفى التشريب مطلقاً بشرهم بأن الله غفر ذنبهم في هذا اليوم وذلك لأنهم لما انكسروا وخجلوا واعترفوا وتابوا فالله قبل توبتهم وغفر ذنبهم فلذلك قال ﴿الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾

المسئلة التاسعة عشرة : - ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنِ السَّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْو﴾^(١) تمسك أصحابنا بهذه الآية على أن فعل العبد خلق الله تعالى لأن خروج العبد من السجن أضافة إلى نفسه ومجيئهم من البدو وأضافة إلى نفسه سبحانه وهذا صريح في أن فعل العبد بعينه فعل الله تعالى وحمل هذا على أن المراد أن ذلك إنما حصل بإقدار الله تعالى وتسيره عدول عن الظاهر

المسئلة العشرون : - ﴿رَبَّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنِ الْمَلَكَ وَعَلَمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾^(٢) روى أن يوسف عليه السلام أخذ بيده يعقوب وطاف به في خزاناته فأدخله خزائن الذهب والفضة وخزائن الثياب ، وخزائن السلاح فلما أدخله مخازن القراطيس^(٣) قال يابني ما أغفلك

(١) الآية ١٠٠ يوسف

(٢) الآية ١٠١ يوسف

(٣) القرطاس ما يكتب فيه

عندك هذه القراءات وما كتبت إلى على ثمان مراحل قال نهان
 جبريل عنه قال سله عن السبب قال أنت أبسط إليه فسألة فقال
 جبريل أمر الله بذلك لقولك ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ فهلا
 خفتني وروى أن يعقوب أقام معه أربعاً وعشرين سنة ثم دفنه بجنب
 أبيه إسحاق بالشام وكان ذلك في عهد العزامة الأجانب الذين يسمون
 بالهكسوس وهم فيما يبدو ساميون قد مروا إلى مصر من بلاد الشام إلى
 أن طردهم أحسن الأول إلى ما وراء الحدود المصرية^(١)



(١) تعليق المتنبّي في التفسير ص ٣٢٦ هامش

«الفصل الخامس والأخير»

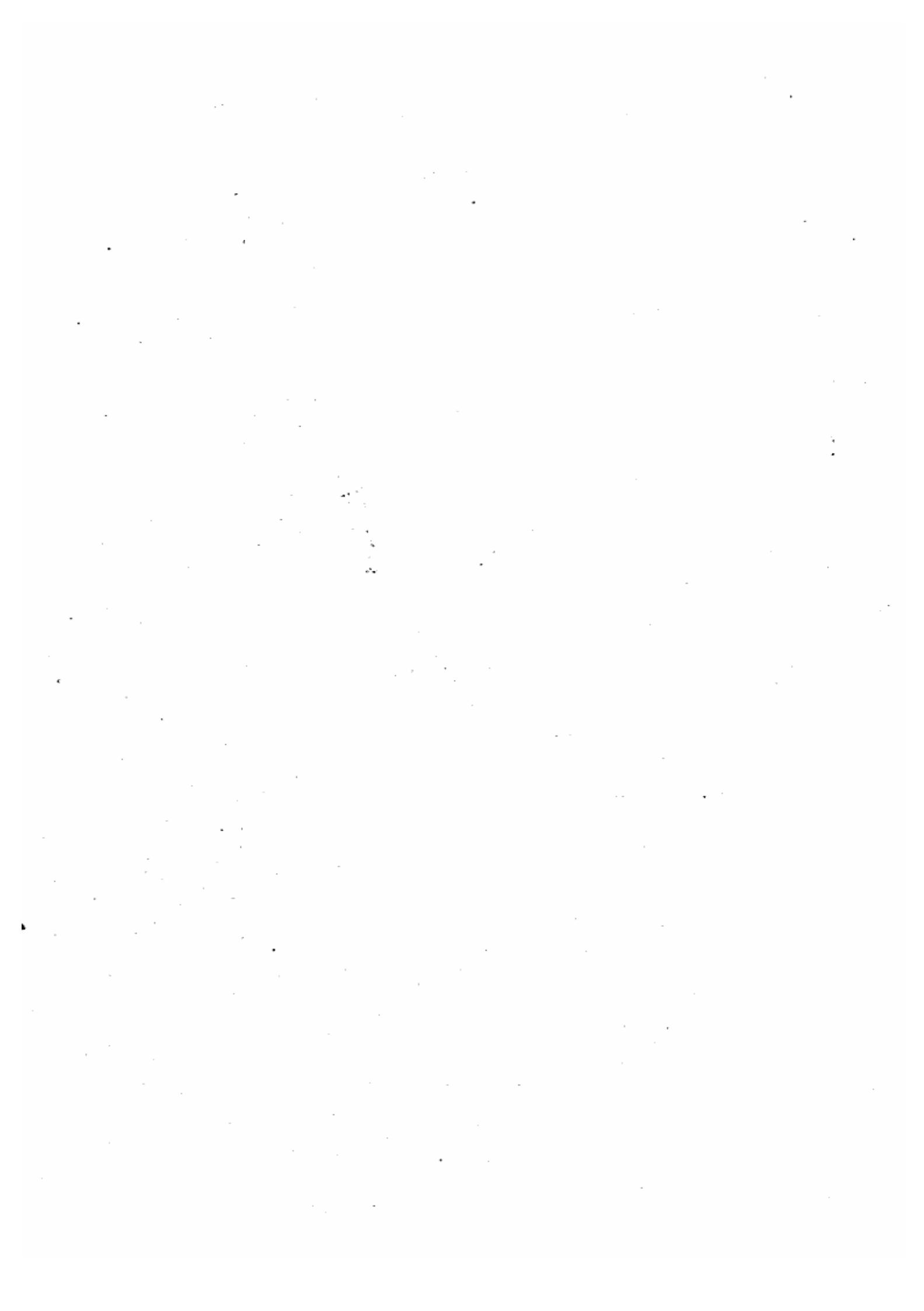
«أخلاق مستفادة من الصديق»

«يوسف عليه السلام»

١ - الإيمان والثبات والرزانة .

٢ - خلق الصبر .

٣ - فضيلة الشكر .



الإيمان والثبات والرزانة :

إن طيب الأصل إذا قواه طيب البيئة وجد الإنسان على أكمل الأوصاف ، وأروع الحصول وصار خيرا لا شر فيه ، وأحس بالشرف وتمسك بالفضيلة وهكذا يوسف عليه السلام غذى بلبن النبوة ونشأ على التقوى أصلح نشأة ، يذكره أبوه بآبائه الصالحين وكان عاملا بما علم ، هذا الإيمان جعله يلاقي الصعاب ، ويواجه العواصف النفسية والأخطار في سبيل تأييد ذلك المبدأ الحق .

استمسك - ببدأ العفاف والتقوى وقابل جميل السيد بالشكر والوفاء ، ولجأ إلى الله عند الابلاء ، ووضع دينه في أعماق نفسه يدعوه إليه ويسره به حتى في أحلك الساعات وأشد الأوقات وتظهر رزانته عندما جاء الإفراج أبي الخروج إلى أن تظهر على الساحة براءته ونقائه صفحته فما أجره من شاب يحتاج إلى أخلاقه في دنيانا الشباب !

خلق الصبر :

الصبر هو حبس النفس على ما تكره وهو من مميزات الإنسان وكان يوسف متحليا به ذكر في القرآن في أكثر من سبعين موضعا وبه تناول الدرجات وتكرر الخيرات جزاؤه غير محدود بل بكرم الله الواسع وجوده العميم والصبر نصف الإيمان صبر يوسف على إيذاء إخوته له ، وعلى بيته وعلى محنته وإغرائه وسجنه وفوق كل ذلك صبر وغفر لإخوته .

هذا قليل من كثير من المواقف الكريمة التي تشهد له أنه رجل ضرب الأمثال العالية بأخلاقه الطاهرة وحكمته العالية ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوْقَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابُ ﴾ (١) .

ما أشد حاجتنا في دنيانا الآن إلى الصبر ، والغفرة ، وضبط النفس ، والشجاعة ، والحلم ، وسعة الصدر ، وكتمان السر ، والقناعة ، فتلك هي الدواء لما نعانيه من أدواء في مجتمعنا وأسرنا وقلوبنا ﴿وَاسْتَعِنُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^(١)

فضيلة الشكر :

الشكر من أخلاق الربوبية ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٢). وهو معرفة النعمة الحاصلة من المنعم والفرح بها والقيام بمقصود المنعم والعمل بما يحبه .

وقد كان الصديق يوسف عليه السلام متخليا به تحدث بنعم الله عليه وعلى آله ، واعترف بنعمته ربه عليه من الملك وتأويل الأحاديث . وبالشكر تزيد النعمة ﴿إِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٣).

فهلا لشبابنا وفتياتنا أن يشكروا الخالق على نعمائه والأباء والأمهات على التربية والرعاية والمعلمين على التوجيه والتربية والتعليم والمجتمع والوطن على ماقدمه لهم من خير عميم وفضل عظيم ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٤).

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(١) ٤٥ البقرة .

(٢) ١٧ التغابن .

(٣) ٧ سورة إبراهيم .

(٤) ٢٩ الحديد .

المراجع

- ١ - تفسير الإمام البيضاوي .
- ٢ - الفخر الرازى .
- ٣ - في ظلال القرآن .
- ٤ - المتنبّه في تفسير القرآن الكريم .
- ٥ - قصص الأنبياء (للمرحوم عبد الوهاب النجار) .
- ٦ - صفوۃ التفاسیر .
- ٧ - النبوة والأنبياء (محمد على الصابونى) .
- ٨ - فتح البارى .
- ٩ - صحيح مسلم .
- ١٠ - التفسير والمفسرون .

الفهرس

الفصل	الموضوع	الصفحة	
الفصل الاول	الإهداء	٣	
	المقدمة	٥	
	مع الإمام الرازى	٩	
	جوانب شخصيته العلمية	١٢	
	تفسيره مفاتيح الغيب	١٣	
	كرم الأصل	١٥	
	رؤيا حق	١٧	
	مؤامرة وتنفيذ	٢٢	
	ف بيت العزيز	٢١	
	مغريات مع إيمان وثبات	٢٤	
	واقعة الهم	٢٦	
	مع المفسرين	٣٨	
الفصل الثاني	شهادة عظمى	٤٠	
	حديث المدينة	٤١	
	يوسف في السجن	٤٢	
	براءة وإكرام	٥١	
	يوسف وتعبيره للرؤيا	٥٣	
	على خزائن الأرض	٥٧	
	الفصل الثالث		